

## سياسات إدارة "دونالد ترامب" تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي: ذروة النفوذ المسيحي-الصهيوني

حسن أيوب\*

### ملخص

تتصدى هذه الدراسة للتأثير الاستثنائي الذي تمارسه القوى والأفراد المنتمين للتيارات اليمينية، والصهيونية، والمسيحية الإنجيلية الأصولية في سياسات إدارة الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، ويعتمد التحليل المقدم على فهم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في اللحظة الراهنة من زاوية تأثير القوى الداخلية (المحلية) Domestic Actors. لقد تناولت العديد من الدراسات هذا التأثير لكن من زاوية "اللوبي الإسرائيلي" أكثر منه من زاوية التحالف الفريد الراهن بين الصهيونية ويمين الحزب الجمهوري والمنظمات المسيحية-الصهيونية، ولا سيما في تحديد الخيارات السياسية للإدارة الأمريكية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والصراع-الفلسطيني-الإسرائيلي، وتتصدى الدراسة للسؤال المحوري الآتي: ما الذي يفسر الانتدفاع الهائل للإدارة الحالية (إدارة ترامب) نحو التسليم بكل ما تدعيه الحركة الصهيونية وإسرائيل؟ إن المشكلة البحثية التي تتصدى لها هذه الدراسة هي محاولة الكشف عن التفسير الكامن وراء ذلك الانتدفاع في علاقة الطرفين تبعاً لطبيعة القوى السياسية والأيدولوجية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعبر عن نفسها في سلسلة السياسات غير المسبوقة لإدارة (دونالد ترامب) وتركز الدراسة على الاستراتيجية المزوجة لهذا التحالف وإدارة ترامب في منح الشرعية للدعايات التوراتية المتعلقة بأرض فلسطين، وإسناد ذلك بسلسلة من السياسات الداخلية الهادفة إلى تحجيم وقمع المعارضة السياسية بذريعة محاربة العداء للسامية، خلصت الدراسة إلى أن اللحظة الراهنة تمثل النقاء غير مسبوق بين هذه القوى الداخلية وإدارة دونالد ترامب في تحالف يغتتم هذه الفرصة لإحداث تغيير جذري ونهائي في طبيعة ومالات الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي لصالح تبني وتطبيق الأهداف التوراتية للحركة الصهيونية على أرض فلسطين.

**الكلمات الدالة:** المنظمات الصهيونية، المسيحية الأصولية، فريق الرئيس ترامب، العداء للسامية، اليهودية، "صفقة القرن".

### المقدمة

بإعلانه الشهير في شهر تشرين ثاني الماضي 2020 حول المكانة القانونية للمستوطنات (المستعمرات الاستيطانية) "الإسرائيلية"<sup>1</sup> في المناطق الفلسطينية المحتلة (م. ف. م) منذ العام 1967 أطلق وزير الخارجية الأمريكي (مايك بومبيو) موجة من ردود الفعل على كافة المستويات. فقد اعتبر في حديثه لوسائل الإعلام بأن إقامة هذه المستوطنات لا يتعارض بحد ذاته مع القانون الدولي. وقد تناولت الغالبية الساحقة من التعليقات وردود الفعل، وبخاصة الفلسطينية منها، المدلولات السياسية والقانونية لهذا التصريح غير المسبوق. فقد اعتبر أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف) (صائب عريقات) بأن هذا التصريح "لا يخلق حقاً ولا ينشئ التزاماً، وهو لا يغير شيئاً في القانون الدولي والاستيطان". وأضاف (عريقات) في ذات التصريح أن "هذا القرار ليس فقط مخالفاً للقانون الدولي بل هو جريمة حرب". (عريقات، 2019) ومثل عريقات تركزت الردود العربية والدولية حول خطورة الموقف الأمريكي باعتباره خروج عن الإجماع الدولي بهذا الصدد. ولا سيما وأن الموقف الدولي يستند إلى أرضية قانونية دولية صلبة تتمثل في الاتفاقية الرابعة من اتفاقيات جنيف للعامين 1948، 1949، وإلى سلسلة من القرارات الدولية وفي مقدمتها قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بهذا الموضوع وآخرها القرار 2334. إلا أن تصريحات (بومبيو) لا تفهم تماماً في سياقها السياسي أو الموضوعي فحسب، بل إن لها سياق آخر ذو صلة برؤية الإدارة الأمريكية الحالية (إدارة الرئيس دونالد ترامب) لعلاقتها مع إسرائيل، وموقفها من الفلسطينيين، وإذا كان من الصحيح القول أن التصريح المذكور بشأن المستوطنات يمكن أن ينظر له كنترويج لسياسات الإدارات الأمريكية السابقة، والتي اثرت التسليم بالأمر

\* جامعة النجاح الوطنية. تاريخ استلام البحث 2020/3/3، وتاريخ قبوله 2020/12/22.

<sup>1</sup> إن التسمية التي تطلق على مشاريع البناء الاستعماري التوسعي الاستيطاني "الإسرائيلي" في م. ف. م باعتبارها "مستوطنات" هي ما درجت عليه التسمية بالرغم من ما يمكن أن تتطوي عليه من التباس، وهذه الدراسة ترى أن المشروع الاستعماري الاستيطاني Settler-colonial الإسرائيلي في كل فلسطين له ذات الخصائص والسمات التي تميز هذا النوع من الاستعمار ليس فحسب باعتباره مخالفاً للقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، بل كذلك بوصفه مشروع اقتلاعي بامتياز، أينما ترد عبارة "مستوطنات" في دراستنا فإنها اختصاراً للتوصيف المقدم هنا.

الواقع الذي شكلته "إسرائيل" على الأرض منذ العام 1967، إلا أن ما ذهبت إليه إدارة الحالية هو خطوة غير مسبقة من حيث تسليمها الكامل ومنحها الشرعية للدعوات الصهيونية ذات الطبيعة الإثنية-الدينية المتعلقة بأرض فلسطين وهويتها، وليس أدل على ذلك من مضمون ما عرف باسم "صفقة القرن".<sup>2</sup>

وإن التمتع في سلسلة القرارات التي اتخذتها إدارة الرئيس ترامب بدءاً من الاعتراف بمدينة القدس المحتلة عاصمة لدولة "إسرائيل" والاعتراف بالسيادة "الإسرائيلية" على هضبة الجولان السورية المحتلة، مروراً بما فرضته على "السلطة الفلسطينية" وعلى الشعب الفلسطيني من عقوبات، وانتهاءً بما يعرف باسم "صفقة القرن" يفضي إلى تفسيرات قد تسبق وتؤسس للمواقف السياسية و"البراغماتية" النفعية التي تقود التفكير السياسي في كثير من الأحيان: وهذه التفسيرات تكمن في الميول الأيديولوجية والقناعات الدينية الشخصية والجماعية للمجموعة المركزية التي تلعب الدور الأساسي في صناعة القرار في الإدارة الأمريكية الحالية؛ وهو ما تحاول هذه الدراسة الكشف عن حثيئاته ومنطلقاته، وعن الجماعات المؤثرة في صنعه، وبالرغم من أن تأثير هذه الاعتبارات (العوامل) لم يكن غائباً عن السياسات الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، بل تجسد في جماعات الضغط المعروفة باسم "اللوبي الإسرائيلي" (أو الصهيوني) وقدرتها على الوصول لأعلى هيئة تشريعية في واشنطن وهي مجلس الشيوخ، فإن حضورها في هذا المضمار تحول إلى سياسة مركزية وعلنية في ظل إدارة "ترامب" مصحوباً بنزعة عدوانية ضد الفلسطينيين على المستويين الدولي والداخلي الأمريكي، ومشفوعاً بالتجيش دفاعاً عن مفهوم جديد لظاهرة العداة للسامية، من قبل إدارة هي أكثر الإدارات الأمريكية عنصرية.

#### مشكلة الدراسة:

ربطت دولة "إسرائيل"، ومن قبلها الحركة الصهيونية علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ أن قبلت حكومة واشنطن بصورة رسمية بوعدها بلفور في العام 1921، بعد أن كان الرئيس (ودرو ولسون) قد وافق عليه في العام 1917، مروراً بلعبها دوراً محورياً في صدور قرار تقسيم فلسطين في العام 1947، وما تلاه من سياسات داعمة لدولة "إسرائيل" حتى يومنا هذا، وإن كان من الملاحظ -حسب عديد الدارسين- بأن العلاقة بين الطرفين تأخذ منحى تصاعدياً بحيث تبدو للوهلة الأولى بأنها علاقة خارج الزمان والمكان (بمعنى أنها لا-تاريخية وجوهانية)، فثمة العديد من التفسيرات التي تقدم لفهم هذه العلاقة. ومن الملاحظ أنه بالرغم من الثبات العالي لهذه العلاقة إلا أنها تتأثر ببعض العوامل التي تصفي عليها في بعض الأحيان سمات التوتر أو التنازع من جهة، أو التقدم المنفعة الذي يجعلها تبدو غير قابلة للنقض أو النقد. هذا ما يمكن ملاحظته بالمعابنة التجريبية لصعود وهبوط تلك العلاقة إذا ما قارنا بين إدارتين أمريكيتين أو أكثر، بحيث تصبح هذه العلاقة مفهومة في سياقاتها الزمانية والمكانية والموضوعية في ان معاً.

وإن المتتبع لعلاقات الولايات المتحدة الأمريكية بـ"إسرائيل" سيواجه بلا شك تلك المسألة ذات الصلة بطبيعة القوى السياسية والأيديولوجية السائدة في أمريكا. فبالرغم من الثبات العالي للدور الوظيفي الذي تلعبه "إسرائيل" في الاستراتيجية الكبرى لواشنطن في المنطقة العربية والشرق الأوسط، تبرز في كثير من المناسبات موجات صعود تبدو غير مسبقة في تساق هذه الإدارة الأمريكية أو تلك مع سياسات "إسرائيل" ومصالحها مثل الإدارة الحالية للرئيس (دونالد ترامب). بينما بدت العلاقة بين الطرفين وكأنها تعايش أزمت متتابعة مثلما كان الحال في عهد إدارة سلفه الرئيس باراك أوباما بالرغم من موافقه الداعمة لها في سياق ما اعتادت عليه الإدارات الأمريكية. فما الذي يفسر الاندفاع الهائل للإدارة الحالية (إدارة ترامب) نحو التسليم بكل ما تدعيه الحركة الصهيونية وإسرائيل؟ إن المشكلة البحثية التي تتصدى لها هذه الدراسة هي محاولة الكشف عن التفسير الكامن وراء ذلك الاندفاع في علاقة الطرفين تبعاً لطبيعة القوى السياسية والأيديولوجية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تعبر عن نفسها في سلسلة السياسات غير المسبقة لإدارة (دونالد ترامب). فإن كان الشأن السياسي ومنطلقات ومحركات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية هي نتاج مؤسسي ينتم بدرجة عالية من الاستقرار، فما الذي يفسر تلك السياسات؟

#### أسئلة ومقولات الدراسة

##### الأسئلة

تركز أسئلة الدراسة على منهجية فهم "من أسفل إلى أعلى" في البحث عن إجابات لممارسة وسلوك النخبة السياسية الأمريكية

<sup>2</sup> تم الإعلان رسمياً عن صفقة القرن من قبل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 2020/1/21 أثناء العمل على هذا البحث، والجزء الأخير من بحثنا سينتظر إلى "الصفقة" ارتباطاً بالأطروحة الرئيسية التي نقدمها، وما نقيم عليها من حجج ومشاهدات.

في الإدارة، وبخاصة الرئيس وفريق عمله، للوصول إلى استنتاجات حول المشكلة محل التمحيص. عليه فإن السؤال المحوري للدراسة هو: ما هو المحرك الأساسي لذلك التحول الانعطافي في سياسات الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب تجاه "إسرائيل" والمسألة الفلسطينية؟ ويتبع هذا السؤال أسئلة فرعية هي بمثابة تفريع من أصل السؤال المحوري: ما دور صعود القوى المسيحية-الصهيونية في عهد هذه الإدارة في حملها على تلك السياسات؟ كيف تؤثر مواقف كل من اليهود، والجمهوريين والديمقراطيين من القضية الفلسطينية على تعزيز الهجوم اليميني المسيحي والصهيوني على القضية الفلسطينية؟ كيف تستخدم الإدارة الأمريكية الحالية مسألة العداء للسامية في خدمة سياساتها ومحاربة القضية الفلسطينية؟

### مقولات الدراسة وفرضيتها:

- المقولة الأولى: إن أحد أهم محركات ودوافع موقف الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس (دونالد ترامب) تكمن في الانحياز الأيديولوجي للرئيس وفريق مساعديه؛
- المقولة الثانية: تشكل سياسات الإدارة الحالية استجابة غير مسبوقه للتصورات المسيحية الإنجيلية البروتستانتية لمكانة ودور إسرائيل الدينية التوراتية؛
- الفرضية: إن التحالف الجمهوري اليميني-الصهيوني وفي سعيه للتحكم بمجريات الحياة السياسية في الولايات المتحدة يوظف البعد الأيديولوجي الديني لقمع وإسكات المعارضة السياسية الداخلية المتعلقة بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي بهدف تبني الأهداف التوراتية القصوى للصهيونية في فلسطين.

### المبحث الأول:

#### الإطار النظري والمقاربة المنهجية

إن هذه الدراسة من حيث الجوهر هي محاول لوضع إطار تفسيري لأحد مظاهر العلاقات بين الدول؛ إي أنها دراسة في السياسة والعلاقات الدولية، وتتطلب الدراسات السائدة في هذا الحقل المعرفي من افتراضات محددة لتقدم تفسيراً لسلوك اللاعبين الدوليين، ولاسيما الدول إذ تتفاعل مع بعضها أو فيما بينها على الساحة الدولية. وعلى اختلاف افتراضاتها وتفسيراتها فإنها تتناول ذات المفاهيم والعوامل المفسرة لسلوك الدول. ثمة مجموعتين من العوامل المفسرة (المتغيرات المستقلة) التي تتناولها نظريات السياسة الدولية، وتأخذ كل نظرية من جزء من هذه العوامل مادتها الأولية في تقديم معالجتها التفسيرية للسياسة والعلاقات الدولية:

- العوامل المادية المحسوسة مثل الدول، الأفراد، المؤسسات الدولية، الشركات العابرة للجنسيات...
- العوامل المفاهيمية غير المحسوسة مثل بيئة النظام الدولي، المعايير والأعراف، والهويات.

وإن العلاقات بين الدول وسلوكها في مضمار السياسة الدولية هي عموماً ظاهرة اجتماعية؛ أي أنها وليدة أنماط التفاعل ومحركات هذه الأنماط باعتبارها علاقات بين الأفراد والجماعات، وبين الجماعات والتي تحتكم لأحد منطقتين: منطق الحسابات العقلانية على اختلاف أشكالها وبخاصة المرتبطة بالحسابات المادية للقوة والأمن والصراع؛ ومنطق القيم الثقافية (بالمعنى الواسع للثقافة الذي يشمل الأيديولوجيا والدين والدلالات الرمزية). وعلى طرفي هذا المنطق يمكن البحث عن تفسير للعلاقات التي تربط الدول اتفاقاً واختلافاً؛ عداء وتحالفاً؛ تعاوناً وتنافساً. والعلاقات التي تربط "إسرائيل" بالولايات المتحدة الأمريكية تخضع لواحد- وربما أكثر- من هذه المحددات التفسيرية؛ أي أنها علاقات قابلة للفهم والتأصيل المفاهيمي استناداً إلى النظريتين الواقعية والليبرالية التي يمكن تلخيص منطلقاتها التفسيرية على النحو التالي:

**المدرسة الواقعية:** تنقسم هذه المدرسة النظرية إلى الواقعية الكلاسيكية، والواقعية البنوية. ترى الأولى بأن الدول عبارة عن لاعبين عقلانيين يحرك تفاعلهم على الحلبة الدولية دافعي الأمن والبقاء، ما يتطلب أن تكون المصلحة العليا للدولة هي حياة المزيد من عوامل القوة والقدرة المادية في صراعها من أجل الحفاظ على أمنها وردع الدول الأخرى. وفي هذا الصراع المحموم على القوة في عالم يتسم أساساً بخاصة غياب السلطة المركزية Anarchy بحكم غياب السلطة العليا أو "الليفيثان" حسب تعبير "توماس هوبز" (Hobbes, 1968). ويعتبر الأمن في الواقعية الكلاسيكية لعبة صفرية، والسعي للقوة العسكرية والاقتصادية المحرك الأساسي للعلاقات بين الدول وهو ما يحدد إمكانية تعاون الدول أو عدم تعاونها تبعاً لمبدأ المكاسب النسبية (Morgenthau, 1978). في هذا السياق فإن حسابات الدول وعلاقاتها لا تحتكم للمؤسسات الدولية، فهي (أي المؤسسات) لا يمكن لها أن تلعب دوراً مستقلاً خارج إدارة الدول صاحبة القوة (Mearsheimer, 1994). وأما الواقعية البنوية (أو ما بعد الواقعية) فلا ترى بأن الدول المنفردة بسلوكها العقلاني هي

التي تحدد أنماط العلاقات السائدة في السياسة والعلاقات الدولية، والقوة حسب "كينيث والتز" هي خاصية النظام ووظيفته: أي أن بنية النظام الدولي وخصائصه هي التي تحدد توزيع القوة بين الدول (Waltz, 1995)، وعليه فإن العلاقات بين الدول لا تعتمد على الفعل الأحادي للدولة بل على التوازن القائم في النظام ككل.

**المدرسة الليبرالية، والليبرالية المؤسسية:** تأخذ هذه المدرسة من التفاؤل الفلسفي لعصر التنوير وأفكار كل من "أيمانويل كانت" و"مونتسكيو" أساساً لفهمها للعلاقات بين الدول: فبعكس الواقعية التي ترى بأن الإنسان شرير واناني بطبعه، يعتبر كل من هذين الفيلسوفين بأن لدى البشر ما يكفي من التمييز والعقل لتجاوز حالة الحرب وغياب العدالة من خلال العمل الجماعي، ووعي القوانين العامة، وإنشاء المؤسسات. (Kant, 1957) لقيت هذه الأفكار دفعة قوية في القرن التاسع عشر بشيوع الرأسمالية بوصفه نظاماً اجتماعياً يقوم على الحريات الفردية واقتصاد السوق، وتعززت في سياق انعكاساته على مستوي علاقات الدول الرأسمالية فكرة "إيمانويل كانت" عن السلام الدائم من خلال نشوء "فدراليات جمهورية"؛ أي ديمقراطيات تعتمد نظام اقتصاد السوق، وهو ما يسهم في امتناعها عن خوض الحروب ضد بعضها البعض. إن ما يجمع الدول وفق هذا الفهم هو تفضيلاتها ومصالحها، وتلك المؤسسات التي تنشأ بينها وقواعد السلوك النابعة منها. فالدول لا تحركها هزيمة من المصالح في قمتها والأمن والقوة، بل تفضيلاتها للتعاون (Keohane and Nye, 1997) من خلال تطور اعتمادها المتبادل على بعضها البعض في إطار العلاقات الاقتصادية الليبرالية.

وإن العلاقات التي تربط دولتين حليفيتين مثل: الولايات المتحدة و"إسرائيل" يمكن أن تخضع للمنطقين معاً: ومن زاوية الدور الوظيفي الذي تلعبه إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها أحد ضمانات توازن القوى الإقليمي الذي تسعى من خلاله الولايات المتحدة لإدامة وتعزيز هيمنتها في المنطقة العربية، ومن تلك الزاوية فإن ما يحرك سياسات الولايات المتحدة تجاه إسرائيل هو حسابات الأمن المصالح التوسعية لواشنطن، وقدرتها على وضع احتواء، تحجيم، وربما قمع بقية اللاعبين في المنطقة إلا أن هذا الدور يصبح محل تساؤل، حتى من الزاوية الواقعية، بحكم الكلفة العالية التي تتكبدها الولايات المتحدة في الإبقاء على هذا التحالف، وهي كلفة مادية، وأحياناً أمنية بحكم ما تتعرض له مصالحها بسبب موقفها من الفلسطينيين، وبالتأكيد كلفة على مستوى سمعة وتحالفات أمريكا في المنطقة وحول العالم، وأما من زاوية الليبرالية فمن المعلوم بأن الحركة الصهيونية قد بادرت منذ مؤتمرها الشهير في "بالتيمور" في الولايات المتحدة الأمريكية في العام 1942، إلى موضعة نفسها في سياق العالم الليبرالي وجزء لا يتجزأ منه وتشاركه قيمه ومعاييرها. واستمرت "إسرائيل" في ذات الاستراتيجية التي تعتبر امتداداً لخطابها الاستعماري الغربي في تبرير وجودها وسياساتها. إن النقاطات التي تجمع إسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية هي أحد العوامل المفسرة للميل الكبير لدى الجمهور والكثير من صانعي القرار لدعم ومساندة "إسرائيل" والصهيونية. لكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام من هذه الزاوية هي وجود تناقضات جوهرية بين الليبرالية-الديموقراطية (أو الديموقراطية-الليبرالية إن أردتم) وبين ادعاءات القومية ذات التبرير الديني-الإثني الإسرائيلي، وهو ما بات يخلق درجات من التوتر والتباين بين الكثير من أوساط الليبراليين من جهة وبين الصهيونية وإسرائيل من جهة أخرى. فما الذي يفسر تجاوز إدارة ترامب لتناقضات كل من الليبرالية والواقعية في علاقتها الاستثنائية بالصهيونية وحلفاءها من اليمين الجمهوري والمسيحي؟

**السياسة الدولية كانعكاس لتفضيلات اللاعبين المحليين:** برز في سياق تطور النظرية الليبرالية مقاربات تربط بين سلوك الدول في السياسة الدولية، وبين التكوين الداخلي المحلي (أي الوطني/القومي). والسياسة الخارجية للدولة تتأثر بشكل مباشر وعميق بمصالح، وتفضيلات أفراد وجماعات ومنظمات أعمل ومجموعات مصالح تجد طريقها للتأثير في سياسات دولها وبما يخدم مصالح هذه القوى المحلية؛ أي أنها تقدم نظرة من أسفل إلى أعلى لفهم وتفسير السياسة الدولية. يقول "أندرو مورافتشيك" في هذا الشأن بأن ثمة ثلاثة افتراضات لهذه المقاربة: الأول هو أن اللاعبين الأساسيين في السياسة الدولية هم الأفراد والجماعات الخاصة صاحبة القدرة على التأثير في السياسة الخارجية لدولهم مثل الاتحادات النقابية، المنظمات غير الحكومية، الشركات الكبرى، وجماعات الضغط؛ الثاني: هو أن سلوك وأفعال الدولة هي نمط فرعي لهذه الجماعات الأفراد أصحاب التأثير؛ والثالث هو أن سلوك الدول لا يعرف ببنية القوة التي تمتلكها الدولة بل بتفضيلاتها (Moravcsik, 1997). بهذا المعنى فإن قدرة الأفراد والجماعات المحلية على الوصول لصانع القرار في السياسة الخارجية لأية دولة تشكل أحد أهم مفاتيح فهم سلوك هذه الدولة تجاه قضية معينة، وهو ما نحاول أن نبينه في هذا الدراسة. إن دور جماعات الضغط والمصالح في صنع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية هو من أبرز سمات هذه السياسة. وعندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية، فإن دور ما يعرف باسم "اللوبي" الصهيوني-الإسرائيلي معروف على نطاق واسع، لكن هذا اللوبي وجد في التحالفات اليمينية والمسيحية الأصولية في ظل إدارة ترامب مساحة أكبر وأشد تأثيراً مثلما نبين في هذه الدراسة.

## المنهج التحليلي وعرض الدراسة

تتناقش هذه الدراسة بداية طبيعة التحالف المسيحي-الصهيوني ومركزاته ودوائره التي تشكل مركز الثقل في التأثير على سياسات إدارة "دونالد ترامب" المتعلقة بالقضية الفلسطينية، يبرز في هذا المضمار عنصرين: الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية وعلاقتها مع هذه الإدارة ودعمها لها، وتقاطع الانتماءات المسيحية والصهيونية لأركان هذه الإدارة الذي يلعبون دوراً محورياً في قراراتها ذات الصلة بإسرائيل، وبالمسألة الفلسطينية. ومن أجل إبراز أهمية هذا المكون نعرض للمعارضة داخل هذا التيار، ومعه المعارضة في أوساط تيار الصهيونية الليبرالية لسياسات إدارة ترامب. تعالج الدراسة، في الجزء الذي يليه، مسألة العداء للسامية وتعريفه الجديد من قبل الإدارة الأمريكية وكيف يستخدم لقمع المعارضة السياسية لإدارة ترامب، ولتجريم الأصوات المؤيدة للفلسطينيين والتي تنتمي بخاصة في أوساط اليهود الشباب وبشكل أكبر في المؤسسات التعليمية. تعرض في الجزء التالي للمعارضة المتنامية للسياسات المسيحية-الصهيونية ومعها سياسات إدارة ترامب في أوساط يهود الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك انتقادهم ومعارضتهم لكيفية تعامل هذه الإدارة مع ظاهرة العداء للسامية، واستخدامها من قبل فريق "ترامب" بوصفه أداة لتسويق وتبرير سياساته العنصرية. أخيراً نقدم ربطاً تحليلياً لكيفية خط السياسة بالدين التي أدت إلى ما يعرف باسم "صفقة القرن".

وفي كل ذلك تقوم الدراسة على منهجية تحليل المحتوى والخطاب بالاستناد إلى مصادر أولية: التصريحات، البيانات الرسمية ومراجعة القوانين، ردود الأفعال، المقابلات، والوقائع اليومية لتطور القضية البحثية محل الدراسة اخذين بالاعتبار بأنها قضية لا زالت في حالة من التشكل والاستمرارية في اللحظة الزمنية الراهنة. لهذا السبب فإن غالبية المصادر موثقة من مواقع الكترونية رسمية (أي تابعة لوكالات حكومية أو شبه حكومية)، أو مواقع يعتد بها وبمصداقيتها. لقد اعتمدت الدراسة بشكل شبه كامل على مصادر باللغة الإنجليزية، بحكم أن غالبية الجدل والوثائق، والتصريحات، والقوانين محل المعالجة التحليلية هي باللغة الإنجليزية التي حتى وإن توفرت لها ترجماتها العربية يمكن أن لا تقدم فهماً للسياق الثقافي والمعياري الذي يعين على فهم معانيها ومدلولاتها. تحتوي الدراسة كذلك على العديد من الهوامش التي توضح لبعض الأحداث التي لا حاجة لوجود تفاصيلها في متنها، أو لتوثيق بعض الوثائق والأحداث الهامة التي لا يوجد لها مؤلف محدد أو مصدر مرتبط بأشخاص.

## المبحث الثاني:

### التغلغل المسيحي-الصهيوني في تكوين إدارة دونالد ترامب

شكل الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب) فريقه المختص بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي من مجموعة من الشخصيات السياسية والحزبية التي تنتمي إلى الجناح المحافظ اليميني في الحزب الجمهوري، ولقد عمل هذا الفريق بشكل حثيث وبالتوازي لتحقيق هدفين متلازمين: تعزيز الحضور المسيحي-الصهيوني في قرارات الإدارة الأمريكية بشكل علني وبلا تحفظ؛ وإعادة تشكيل السياسات الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية بما يتطابق مع معتقدات هذه المجموعة المنسجمة تماماً مع الرواية التوراتية-الإسرائيلية، وارتباط هذه المجموعة بالمنظمات المسيحية-الصهيونية من خلال العضوية المباشرة، أو التحالف الوثيق.

يبرز في هذا الصدد اسمي منظمتين من أكثر المنظمات انتشاراً ونفوذاً في الولايات المتحدة الأمريكية. ترتبط المنطمتان تحديداً بالكنيسة البروتستانتية الإنجيلية التي تؤمن بالعودة الثانية للمسيح، إيمانها بنبوءة إعادة "بعث إسرائيل التوراتية" لكي تأتي نهاية الزمن بدخول اليهود جميعاً إلى الديانة المسيحية. هاتان المنطمتان هما: "الائتلاف اليهودي الجمهوري RJC"<sup>3</sup>، و"مسيحيون موحدون من أجل إسرائيل" CUFI<sup>4</sup>. وبالرغم من قتامة النبوءة التوراتية بالنسبة لمصير اليهودية واليهود، إلا أن التقارب بينها وبين القطب اليميني الصهيوني في إدارة ترامب تبرره منطلقات سياسية إلى جانب الدينية الأيديولوجية. إذ إن ذات القاعدة المسيحية الإنجيلية المتحالفة

<sup>3</sup> تعتبر منظمة "الائتلاف اليهودي الجمهوري" أكثر المنظمات اليهودية السياسية الأمريكية محافظةً وتطرفاً، وشكلت في عام 1985، إبان رئاسة الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان، ويمول الائتلاف الجمهوري من الأثرياء اليهود الأميركيين المحافظين، وعلى رأسهم ملك القمار شيلدون أدلسون الذي مول حملة الرئيس ترامب لانتخابات 2016، وحملت رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو) (بنيامين نتنهاو) المتتابعة، إلى جانب الملياردير روبرت ميرسر (أحد ممولي ترامب ونتنهاو) والملياردي روبرت كرافت. المصدر: <http://www.alquds.com/articles/1574698211536192600/>

<sup>4</sup> تأسست هذه المنظمة في العام 2006 وهي أكبر منظمة مسيحية مساندة لإسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، وعدد أعضائها حوالي 7 ملايين. ومنذ تأسيسها عقدت المنظمة أكثر من 4000 نشاطاً مؤيداً لإسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية على صفحتها تشير المنظمة إلى كونها أكبر منظمة مسيحية في البلاد مهمتها ورؤيتها هي تنقيف وتمكين ملايين المسيحيين في هذه البلاد لكي يتكلموا بصوت واحد دفاعاً عن إسرائيل والشعب اليهودي. انظر الموقع الرسمي للمنظمة على الرابط: <https://www.cufi.org/impact/about-us/mission-and-vision/>

مع إدارة "ترامب" تمتلك قدراً من العنصرية تجاه اليهود يصعب المرور عنه. مؤسس منظمة "مسيحيون موحدون من أجل إسرائيل" ويدعى "جون هاغي" كان قد قال في تصريحات علنية<sup>5</sup> أن "النازيين كانوا وكلاء الله، وبأن الهولوكوست كان ضرورياً لدفع اليهود نحو فلسطين لإقامة دولة إسرائيل، وبالتالي يؤذن بتسلسل للأحداث سيقود إلى نهاية الزمان". (Hagee, 2008) دعم دولة "إسرائيل" في هذه الحالة هو التزام ديني أصيل لدى هذه الطائفة، وقد وجدت في فريق ترامب العنوان الأكثر ملائمة لتعزيز نفوذها في "البيت الأبيض"، وبغض النظر عن مقدار "مسيحية" الرئيس "ترامب"، وبغض النظر عن موجة العنصرية والعداء تجاه غير البيض (بما فيهم اليهود) التي صاحبت صعوده السياسي نحو الرئاسة واستمرت بوجوده فيها، كما سنناقش لاحقاً.

غداة إعلانه المتعلق بالمستوطنات "الإسرائيلية" في م. ف. م كان أول المبادرين إلى دعم الإعلان المبعوث الأمريكي الخاص المستقل إلى عملية السلام "جيسون غرينبلات"، وبالترزامن أعلن "غرينبلات" انضمامه رسمياً إلى "الائتلاف الجمهوري اليهودي" في خطوة تظهر الالتقاء الكبير بينه وبين "بومبيو" في إيمانها المسيحي، والدور الذي يلعبه في تعزيز التحالف بين اليمين الجمهوري والحركة الصهيونية. إن الإعلان المتعلق بالمستوطنات لا يفهم إلا في سياق قناعات "بومبيو" و"غرينبلات" كمسيحي وكيهودي صهيوني (على التوالي) حول "الإرادة الإلهية" المتعلقة بإسرائيل. فقد تكررت تأكيدات "بومبيو" العلنية على تصرفه وفق ما يمليه الإنجيل، وبخاصة العهد القديم، والأمثلة على ذلك عديدة: في مؤتمره الصحفي المشترك مع رئيس الحكومة الإسرائيلية أثناء افتتاح مقر السفارة الأمريكية في القدس المحتلة، قال مخاطباً "تانياهو" أنا فخور أن أكون هنا ليس كدبلوماسي أمريكي فقط، لكن أيضاً كرجل مؤمن (Pompeo, 2019). فما الذي يؤمن به "بومبيو" في هذا الشأن؟ يؤمن الرجل بأن الحرب مع الإسلام المتطرف هي حرب عقيدة وثقافة، وبأن المخلص فيها هو المسيح، وبأن ظهوره هو الحل الوحيد لعالمنا. وعندما يتعلق الأمر بإسرائيل فإنه يرى بأن الله يمكن أن يكون قد سخر "دونالد ترامب" لإنقاذ الشعب اليهودي من التهديد الإيراني مثلما سخر الملكة "إيستر"<sup>5</sup> التي أنقذت حياة اليهود في عهد الإمبراطورية الفارسية، مضيفاً بأن "إسرائيل هي فعل من الله". (المصدر السابق). والحال هذه فإن مواقفه السياسية المتعلقة بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي تجد مبرراتها وجذورها في كتب العهد القديم مثل "كتاب إيستر". هذه النزعة الدينية الغيبية تبرز كذلك في مواقف وتصريحات "جيسون غرينبلات" فبتأييده لإعلان "بومبيو" المذكور حول الاستيطان، يعلن غرينبلات مجدداً عن هويته الأيديولوجية كصهيوني مخلص، وهو الذي شجع قصف قطاع غزة المحاصر، وندد بموقف الأمم المتحدة التي مددت ولاية وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وشارك مع سفير بلاده في "إسرائيل" ديفيد فريدمان في تدشين وافتتاح نفق جديد تحت أسوار القدس المحتلة.

ولقد لعب هذا الفريق دوراً حاسماً في رسم مواقف وسياسات الرئيس "ترامب" تجاه قضايا الشرق الأوسط وتحديداً الشأن الفلسطيني وهضبة الجولان السورية المحتلة. إذ عزز كل من جاريد كوشنير، دافيد فريدمان، مايك بومبيو، وجيسون غرينبلات الروابط بين الجناح اليميني في الحزب الجمهوري ممثلاً بالإدارة الأمريكية والرئيس ترامب من جهة، وبين المنظمات الصهيونية وقوى اليمين المسيحي-الإنجيلي من جهة ثانية. فقد شارك هذا الفريق في الاجتماع السنوي لمنظمة "مسيحيون موحدون من أجل إسرائيل"<sup>6</sup> وهي مجموعة إنجيلية بروتستانتية يقدر عدد أتباعها بنحو 6 ملايين أمريكي يشكلون جزءاً هاماً من القاعدة الانتخابية لترامب، إذ أشارت نتائج الانتخابات التي أنتت بترامب إلى البيت الأبيض بأن 80% من الناخبين الإنجيليين قد صوتوا لصالحه لأسباب عديدة في مقدمتها مواقفه من "إسرائيل" وقضايا الصراع العربي والفلسطيني-الإسرائيلي ومواقفه المعارضة لتقنين الإجهاض. إن هذا الميل المسيحي-الصهيوني إلى جانب "دونالد ترامب" سيقابله ميل مماثل في أوساط اليهود إلى جانب الحزب الديمقراطي، وبالذات في القضايا المتعلقة بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي كما نعرض في دراستنا هذه أدناه. وهذا التناقض سيكون أحد أهم أسباب اندفاع الإدارة الأمريكية باتجاه تعميق الارتباط مع التحالف الصهيوني-المسيحي اليميني ودفعه باتجاه سياسات معادية للحقوق العربية والفلسطينية.

وتتمحور هذه السياسات حول قبول كل ما تعتبره "إسرائيل" وامتداداتها في الإدارة الأمريكية (أي فريق الرئيس) مصالح حيوية واستراتيجية وأمنية تبرر نزاعاتها التوسعية. فقد أعلن ترامب عن اعترافه بالسيادة الإسرائيلية على هضبة الجولان من على منبر منظمة "الائتلاف اليهودي الجمهوري" في شهر آذار الماضي "بعد إحاطة سريعة من المستشار الكبير للبيت الأبيض صهره جاريد

<sup>5</sup> حسب الرواية التوراتية فإن "إيستر" اختيرت زوجة للملك الفارسي "أشويروس" بفعل جمالها، ولقربها منه حالت دون تنفيذ مؤامرة لقتل كل اليهود في المملكة الفارسية، بل إنها حصلت لهم على موافقة الملك ليقتلوا أعدائهم.

<sup>6</sup> عن الهايفينغتون بوست [https://www.huffpost.com/entry/netanyahu-ally-john-hagee\\_b\\_68482262015/12/3](https://www.huffpost.com/entry/netanyahu-ally-john-hagee_b_68482262015/12/3)

كوشنر، وسفير بلاده لدى إسرائيل ديفيد فريدمان، ومبعوثه إلى المنطقة جيسون غرينبلات وفق قول "ترامب"، مضيفاً أن الثلاثة قدموا له درساً سريعاً في التاريخ حملته على هذا الإعلان، دافيد فريدمان الذي طلب شخصياً هذا الإعلان وصف القرار في مؤتمر "إيباك" AIPAC (لجنة العلاقات العامة الإسرائيلية-الأمريكية) بأنه "معجزة عيد البوريم [عيد المسأخر اليهودي]" (Friedman, 2019) مسبقاً على الإعلان قيمة دينية يهودية مستمدة من إرث طويل متأصل في الصهيونية السياسية ينزع إلى خلع الإرادة الإلهية على حروب "إسرائيل" و"انتصارها" على "الآخر". وقال فريدمان حينذاك "بدون أرض الجولان المرتفعة، ستكون إسرائيل معرضة لمخاطر غير عادية من الأعداء الغادرين، وسوريا ستكون مباشرة على ضفاف بحيرة طبريا، التي توفر 40% من مياه إسرائيل العذبة." (Friedman, 2019) هذا لا يعني -بطبيعة الحال- بأن القرار وليد لحظته تلك، بل إن الإشارات بهذا الخصوص قد توالى منذ أسابيع سابقة. ذات الملاحظة تنطبق على إعلان وزير الخارجية "مايك بومبيو" بشأن المستوطنات الإسرائيلية في المناطق الفلسطينية المحتلة التي تأتي في سياق استراتيجية تمتين التحالف بين الجمهوريين اليمينيين وبالذات المسيحيين الإنجلييين، وبين المنظمات الصهيونية.

وفي رده على الترحيب به في صفوف "الائتلاف اليهودي الجمهوري" بوصفه قد عمل بإخلاص من أجل "إسرائيل" رد "غرينبلات" بالقول: "إنه لشرف لي أن أشارك في الائتلاف اليهودي الجمهوري، وهي منظمة محترمة قامت بعمل رائع لأكثر من ثلاثة عقود. يعرف القادة الجمهوريون في العاصمة وفي جميع أنحاء البلاد القيمة الهائلة لعمل هذا الائتلاف الذي يقوم بتشكيل شبكة قوية من الناشطين المتفانين الذين يجلبون المثل والأفكار الجمهورية إلى الحياة في المجتمع اليهودي. وإنني أطلع إلى المساهمة في هذه القضية." (Greenblatt, 2019) إنه ويقدر ما تعكس هذه التصريحات ذلك التمسك بالمنشود بين الحزب الجمهوري وبين يهود الولايات المتحدة الأمريكية فإنها أحد تعبيرات القلق المتزايد من ميل يهود أمريكا والذي يبدو ذو وتيرة متواصلة نحو الحزب الديمقراطي، والأهم نحو التماهي مع قيم الليبرالية عموماً، حيث تظهر نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة أن أكثر من 71% من الناخبين اليهود قوت صوتوا للمرشحة الديمقراطية "هيلاري كلينتون"، بينما منحوا للرئيس السابق "بارك أوباما" 78% و 69% من أصواتهم في المرتين حيث فاز بالرئاسة<sup>7</sup>. وتبدو خارطة الصراع الداخلي في الولايات المتحدة والحال هذه بأنها صراع قوى على النقاء أو افتراق الصهيونية والمسيحية الصهيونية مع قيم وتغيرات الواقع على جبهتين: الأولى هي علاقة يهود الولايات المتحدة الأمريكية بهذا البلد، والثانية هي علاقة هذا البلد بإسرائيل ومدى تأثيرها على مكانة اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ولكن قبل الانتقال إلى هذا المحور المركزي في دراستنا، لا بد من الإشارة إلى تلك الأصوات التي تعارض انحياز المسيحيين الإنجلييين لإدارة ترامب، ومن بين أوساط هؤلاء المسيحيين.

وبالرغم من الدعم الكبير الذي تحظى به إدارة الرئيس ترامب في الكنيسة الإنجيلية، فإن سلوكه الذي لا يعتبر مسيحياً بالمعنى النموذجي لدى الإنجلييين أصبح يثير المعارضة والانتقاد في أوساط أطراف مؤثرة في هذه الكنيسة. فقد نشرت مجلة "كريستشيانتي توداي"<sup>8</sup> مقالاً لادعا ينتقد الرئيس الأمريكي على خلفية ممارسته الضغط على الرئيس الأوكراني (فيما بات يعرف باسم فضيحة أوكرانيا غيت). واعتبر المقال أن سلوك الرئيس -ناهيك عن خرقه للدستور الأمريكي- هو سلوك لا أخلاقي من زاوية مسيحية. ويضيف المقال بأن سلوك الرئيس في البيت الأبيض كان باستمرار يشير إلى شخص تائه وضائع أخلاقياً. إن الأهمية الكبيرة لهذه المقالة تصبح جلية إذا ما نظرنا إلى عدد التعليقات التي حظيت بها في وسائل النشر والإعلام البارزة في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.<sup>9</sup> لقد توجه محرر المجلة في مقالته المذكورة للجمهور الإنجلي البروتستانتي الداعم لدونالد ترامب ليثنيهم بعبارات صريحة

<sup>7</sup> Jewish Virtual Library: <https://www.jewishvirtuallibrary.org/jewish-voting-record-in-u-s-presidential-elections>

<sup>8</sup> هي من أبرز المجالات الناطقة باسم الحركات المسيحية الإنجيلية البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أسسها Christianity Today أحد أبرز أعمدة الحركة الإنجيلية في أمريكا وهو "بيلي جراهام" في العام 1956. وتهدف المجلة -وفق أهدافها ورؤيتها- إلى تقديم رؤية عالمية مستمدة من الإنجيل للعالم وأحداثه المتنوعة معتمدة في ذلك على عدد كبير من رجال الدين، الدارسين، الصحفيين، الفنانين، ودارسي اللاهوت، ولها قراء ومتابعين من مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية وبشكل خاص بين النخبة السياسية.

<sup>9</sup> انظر على سبيل المثال تعليق "نيويورك تايمز"، رويترز، وواشنطن بوست في الروابط أدناه على التوالي:

<https://www.nytimes.com/2020/01/02/us/christianity-today-mark-galli-evangelicals.html>

<https://www.reuters.com/article/us-usa-trump-religion/christianity-todays-split-with-trump-highlights-deeper-issue-in-white-evangelical-america-idUSKBN1YX09N>

<https://www.washingtonpost.com/religion/2019/12/23/christianity-today-called-trumps-impeachment-why-it-could->

عن الاستمرار في مناصرته باعتبار ذلك "مناصرة للسلوك والسجل غير الأخلاقي لترامب". وبعد الاستمرار في مناصرته سيقوض مصداقيتنا في الدفاع عن الأخلاق والحق لعقود قادمة". (Parini, 2019) تأتي هذه المقالة الهامة في حين تظهر استطلاعات الرأي بأن القاعدة المسيحية الإنجيلية الداعمة لترامب اخذت في التراجع وتحديداً في أوساط الفئة العمرية أقل من 45 سنة بسبب موقفه المعادي للهجرة ومن التغيير المناخي والذي يتنافى مع التعاليم الإنجيلية التي تتادي بحب الجار مثل حب الذات وبضرورة الحفاظ على الأرض وحمايتها. (المصدر السابق) إن معركة المسيحيين الصهيونيين، وإلى جانبهم يمينيو الحزب الجمهوري تدور تحديداً حول استباق التغييرات الزاحفة في ميول أجيال الشباب من المسيحيين واليهود، والتي تتعد رويداً رويداً وبثبات ملحوظ عن "الحكمة الموروثة" للصهيونية وللمسيحية الإنجيلية الأصولية.

### المبحث الثالث:

#### اليهودية والصهيونية، وجدل الولاء المزدوج

تعيش المنظمات الصهيونية ومشايبيها في الولايات المتحدة الأمريكية سابقا مع الزمن الموسوم بديناميات تحول داخلي في ميول اليهود الأمريكيين السياسية والفكرية، وبخاصة تجاه "إسرائيل". ويبدو بأن هذه الميول وبشكل خاص لدى جمهور اليهود الديمقراطيين الليبراليين من الشباب يأخذ طابعا صراعيا مثلما تشير الحاخام "أيلت كوهين" وهي من أبرز قادة اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية. تقول "كوهين": إن اليهود الأمريكيين يفقدون ثقتهم بإسرائيل، ويعتريهم الشعور بالخزي والخيبة منها. لقد تعبوا من الدفاع عنها؛ أنتت هذه الأقوال خلال مؤتمر منظمة "جي ستريت"<sup>10</sup> بنيويورك في شهر تشرين أول المنصرم. إن هذا الميل (والكلام للحاخام) أصبح مسألة يومية، وتعبير صريح عن "غياب اتساق الأهداف بين يهود أمريكا ويهود إسرائيل... لقد بات الحديث عن إسرائيل في أوساط اليهود الأمريكيين مصدرا للانقسام والفرقة". (Kohen, 2019)

وستعزز هذه الفرقة والانقسام بفعل التحولات التي تضرب الحياة السياسية الأمريكية حيث تصعد القوى اليمينية والمعادية للأجانب والمهاجرين واليهود. ولعل التوتر الظاهر بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي بهذا الشأن هو -في أحد أهم أبعاده- انعكاس لهذه الانقسام وسببه في ذات الوقت، وظاهرة دعم إسرائيل كحقيقة غير مسيسة (إي أنها محل توافق حزبي بين الجمهوريين والديمقراطيين) اخذت في التصدع وتدفع في طريقها نحو استغلال سياسي وحزبي لظاهرة العداة للسامية، الأمر الذي سيقسم يهود الولايات المتحدة أكثر فأكثر. وإن السبب الأكثر عمقا وراء حالة الاستقطاب هو ما يعرف بمعضلة "الانتماء المزدوج" لليهود الولايات المتحدة الأمريكية؛ أي الولاء لإسرائيل باعتبارها "دولة اليهود" أينما كانوا. وإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعتبر بأن لها سكانا يعيشون خارج حدودها. إن ما يمكن وصفه بمعضلة الانتماء المزدوج لليهود كانت تاريخيا أحد أبرز التحديات الماثلة أمام الصهيونية واليهود، كما أنها أحد أبرز أسباب العداة لليهود والتي ستسهم بها سياسات إدارة "ترامب" كما سنرى.

وترى المفكرة العالمية اليهودية "هانا أرنت" والمعروفة بدراساتها حول الفاشية أن الدور الذي لعبه يهود الولايات المتحدة الأمريكية في حمل إدارتها المتعاقبة على تقديم العون لإسرائيل والدفاع عنها قد عزز من عزلتها الإقليمية "ومن اعتمادها شبه الكامل من أجل بقائها على هذا الدعم، وبذات الوقت فإن يهود أمريكا ليس لديهم القدرة على توجيه السياسات ذات العلاقة بالشرق الأدنى"، مما سيضعهم في مرحلة ما في حالة تناقض بين ولائهم لإسرائيل وولائهم للولايات المتحدة الأمريكية. (Arendt, 2019) إن أكثر ما يثير مخاوف أوساط اليهود التقدميين (الليبراليين، واليساريين، وإلى حد ما الليبراليين-الصهيونيين) هو أن السياسات التي تتبعها إدارة "دونالد ترامب" ستعمق هذه المخاوف، ولاسيما بعد طرح الأمر الرئاسي التنفيذي باعتبار اليهودية انتماء قومي. ولعل أكثر ما يعزز هذه المخاوف هو الدور المتعاظم للوبي الصهيوني-الإسرائيلي في تقرير سياسات إدارة "ترامب" تجاه قضايا الشرق الأوسط وتحديدا المسألة الفلسطينية.

ولقد تكهنت "هانا أرنت" بتعاظم الدور الذي سيلعبه هذا اللوبي في السياسة الأمريكية، وهو ما يفسر إلى حد بعيد النزعة

[cost-magazine/](http://cost-magazine/)

<sup>10</sup> منظمة "J-Street" هي منظمة صهيونية-ليبرالية تميل إلى البراغمانية التبريرية في تعاملها مع الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، وتقدم نفسها في الولايات المتحدة الأمريكية على أنها البديل الأكثر عقلانية لمنظمات اللوبي الإسرائيلي اليمينية؛ فهي من جهة تحتفل بإسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية (حسب المنظمة)، وبذات الوقت تتبنى تسوية تقوم على حل الدولتين للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، وترفض حق عودة اللاجئين الفلسطينيين. أنظر موقعها الرسمي: <https://jstreet.org/about-us/mission-principles/#.XkC3fzEzZPY>

المتصاعدة لدى الإدارات الأمريكية المتعاقبة لأخذ موقف معاد لتطلعات وحقوق الفلسطينيين، والذي بلغ ذروته في مواقف وسياسات إدارة "دونالد ترامب" المصحوبة بإثارة خلافات حادة في الولايات المتحدة الأمريكية حول مسائل العداء للسامية والنظرة التمييزية لليهود. وتقول "أرنت" إن هذه الحالة التي تعيشها الحركة الصهيونية ومعها يهود الولايات المتحدة الأمريكية ستقود إلى حملات عداء وكراهية لليهود في الشرق الأوسط باعتبارهم وكلاء لقوة أجنبية ومصالحها، وباعتبارهم قوة عسكرية تشبه "سبارطة". ومن جهة ثانية فإن علاقة اليهود بدولة إسرائيل ستصبح إشكالية؛ لأن دفاعهم عن مصالحها يمكن أن يتعارض مع مصالح ورغبات تلك الدول حيث يعيش عدد كبير من اليهود. (المصدر السابق) ويكمن أحد أهم محاور الصراع المحموم للإدارة الأمريكية ومن ورائها التحالف الجمهوري اليميني مدعوماً بقوة المسيحية الإنجيلية والمنظمات الصهيونية وتحديداً في مضمار إبقاء يهود الولايات المتحدة في ذات مربع اليمين السياسي-الديني لحساب اليمين الجمهوري، ولحساب دولة إسرائيل، وبغض النظر عن الضرر الذي من الممكن أن يلحق باليهود.

وتشير الكاتبة "إيلانة فيشمان" كيهودية ترعرعت على الممارسات الدينية الأرثوذكسية الملتزمة، إلى الدور الكبير الذي لعبته ولا تزال الدوائر المحافظة في المجتمع اليهودي الأمريكي في استغلال التوراة لمنع التعرض لإسرائيل أو الصهيونية. حيث إن القراءة النقدية للتوراة، حسب تعبير الكاتبة "لم تذهب إلى حد نقاش "إسرائيل بل تغمض عينها عنها، ولا تناقش النصوص الحاخامية التي تعارض عودة الشعب اليهودي إلى أرض إسرائيل (...). فطرح الصهيونية للنقاش محظور، ولا أحد يعرف النبتة عن شيء اسمه احتلال". قليلة جداً هي الحالات التي تطرح فيها مسائل انتهاك حقوق الإنسان، أو النظم القانونية المتساوية والعادلة في الضفة الغربية من قبل قوى اليمين اليهودي"، ومثلما تشير الكاتبة. وإن غياب النزاهة في طرح هذه المواضيع هو بالذات -حسب إيليانة فيشمان- هو ما يجعل "جيلنا يعلم بأن ما تقوله الحركة المحافظة عن إسرائيل هو مضلل، ويفتقر لأدنى قدر من الحقيقة". (Fishman, 2017) إن الإصرار الذي بات مفضوحاً على منع انتقاد إسرائيل، وعلى عدم انطباق أسس ومعايير الليبرالية عليها هو أحد أهم الأسباب الكامنة وراء التحولات الكبيرة في الرأي العام في أوساط اليهود وهو ما سيقود إلى تبني الاستراتيجيتين المشار إليهما أعلاه (في صفحة 4): تعزيز الحضور المسيحي-الصهيوني في قرارات الإدارة الأمريكية بشكل علني وبلا تحفظ؛ وإعادة تشكيل السياسات الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية بما يتطابق مع معتقدات هذه المجموعة المنسجمة تماماً مع الرواية التوراتية-الإسرائيلية، باستخدام اليهودية والعداء للسامية كوسيلتين رئيسيتين، وبخاصة في ظل مؤشرات استطلاع الراي الحديثة في أوساط اليهود من ديمقراطيين وجمهوريين التي تشير إلى الابتعاد المتزايد عن إسرائيل في أوساط الليبراليين الديمقراطيين، بما فيهم اليهود بفعل ما تمثله الصهيونية وإسرائيل من حالة مجافية لقيم الليبرالية.

#### المبحث الرابع:

##### مؤشرات تراجع ما يعرف "بالإجماع الحزبي" الداعم للصهيونية

أظهر استطلاع للرأي أجري في نيسان 2019 وأعدته مؤسسة "بيو"<sup>11</sup> نتائج ذات دلالة في سياق حالة التباين الحزبي والجماهيري المتزايد في الولايات م. أ فيما يتعلق بكل من الفلسطينيين والإسرائيليين. ويشير الاستطلاع الذي شمل عينة من 10523 شخصاً بأن 64% من الجمهور لديه نظرة تفضيلية "للشعب الإسرائيلي" مقابل 46% لديهم ذات النظرة للشعب الفلسطيني. وبينما يحتفظ 51% منهم بنظرة تفضيلية للحكومة الإسرائيلية. وينخفض هذا المعدل إلى 19% تجاه الحكومة الفلسطينية. إن هذه النتيجة العامة تشير إلى نزعة تاريخية ثابتة نسبياً في الرأي العام الأمريكي تجاه كل من إسرائيل والفلسطينيين. إلا أن تفاصيل نتائج الاستطلاع تكشف عن نزعات غير مألوفة في الرأي العام الأمريكي، ولاسيما لجهة زعزعة المقولة التي تعتبر دعم وتأييد إسرائيل مسألة لا-سياسية؛ أي أنها مسألة إجماع حزبي.

ويبرز الاستطلاع وجود فروق حزبية كبيرة في نظرة الأمريكيين لكل من الشعبين والحكومتين: فمع أن الغالبية لديها نظرة تفضيلية تجاه "الشعب الإسرائيلي" فإن 77% من الجمهوريين أو الذين يميلون للحزب الجمهوري يحملون هذا الموقف، مقابل 57% من الديمقراطيين أو الذين يميلون للحزب الديمقراطي، والهوة بين جمهور الحزبين تغدو أكثر دلالة على تصدع ما يعرف "بالإجماع

<sup>11</sup> نتائج الاستطلاع كاملة على الموقع الرسمي للمؤسسة:

<https://www.people-press.org/2019/04/24/u-s-public-has-favorable-view-of-israels-people-but-is-less-positive-toward-its-government/>

الحزبي Bipartisanship حول إسرائيل عند تحديد الموقف من الحكومة الإسرائيلية: وبين الجمهوريين عبر 61% من المستطلعين عن نظرة تفضيلية مقابل 32% من الديمقراطيين. وعند إدخال متغيرات تعتبر ذات دلالة على أن هذا التباين ليس عرضياً، تصبح النزعة أكثر وضوحاً ووحدة.

وعند إدخال متغيري الدين والأيدولوجيا على تحليل نتائج الاستطلاع تصبح الفروق بين الجمهوريين والديمقراطيين أكبر وأكثر افتراقاً، وكذلك بين الجمهوريين أنفسهم. إذ سيوضح تأثير الأفكار الدينية الإنجيلية البروتستانتية على مواقف الجمهور من المسألة. ومن بين الجمهوريين الذين يمتلكون نظرة تفضيلية للحكومة الإسرائيلية يوجد 73% من الإنجليين البروتستانت مقابل 55% من بين غير الإنجليين. وعند سؤالهم عن رأيهم من مواقف الرئيس "ترامب" تجاه كل من الفلسطينيين وإسرائيل يعتقد 79% من الجمهوريين أن ترامب متوازن في سياساته تجاه الطرفين، وهذه النسبة ترتفع بين الجمهوريين المحافظين إلى 84%، ويعتقد 11% منهم فقط بأنه يفضل "إسرائيل". وعلى الجانب الآخر يعتقد 53% من الديمقراطيين بأن ترامب منحاز لإسرائيل وبراه 29% منهم متوازناً بين الطرفين، و8% منهم فقط يرون بأنه يفضل الفلسطينيين كثيراً. الملفت هو أن نسبة الديمقراطيين الليبراليين الذين يرون ترامب منحاز كثيراً لإسرائيل ترتفع إلى 66%. ويظهر بأن ثمة انقسام بين الديمقراطيين المحافظين والمعتدلين حيث يرى 43% منهم بأن ترامب منحاز لإسرائيل مقابل 38% منهم يرون بأنه متوازن بين الطرفين.

وفق هذه النتائج فإن ثمة مصفوفة من المواقف المرتبطة بالانحيازات الدينية والأيدولوجية لكل من الجمهوريين والديمقراطيين، وبين الجمهوريين أنفسهم تبعاً للكيفية التي يصنفون بها أنفسهم بين مسيحي إنجيلي، ومحافظ، وغير إنجيلي. هذا من جهة، ومن الأخرى فإن التصنيفات ذاتها (أي الأيدولوجية) بين الديمقراطيين هي ذات دلالة فارقة. إن معركة الجمهوريين لتعزيز التحالف مع المسيحيين الإنجليين البروتستانت ومع الحركة الصهيونية تغدو مفهومة في سياق التغيير الكبير في مواقف الديمقراطيين، وبخاصة الليبراليين من "إسرائيل" ومن الفلسطينيين. وإذا أخذنا متغير العمر سيكون لفجوة الأجيال التي تحدثت عنها "إيليانة فيشمان"، وحذرت منها الحاخام "أبيلت كوهين" تأثير هائل على هذا التغيير.

ويظهر هذا الاستطلاع فروقاً دالة عند متغير العمر. وبالرغم من أن الغالبية في الفئات العمرية المستطلعة لديها نظرة تفضيلية للشعب اليهودي (ليس للحكومة الإسرائيلية) فإن من هم فوق 65 عاماً من عمرهم أكثر تفضيلاً من سواهم للشعب اليهودي، والنتيجة الملفتة هنا هي أن الموقف التفضيلي لصالح الحكومة الإسرائيلية وفق متغير العمر ينحصر تماماً في الفئة العمرية 65 عاماً فأعلى بواقع 57% من المستطلعين من هذه الفئة. بالمقابل فإن نسبة المستطلعين من الفئة العمرية 30 عاماً فأدنى الذين لديهم نظرة تفضيلية للحكومة الإسرائيلية بلغت 27% فقط. هذا ليس مستغرباً إذا علمنا، حسب معطيات الاستطلاع، أن غالبية الذين يفضلون الحكومة الإسرائيلية من الفئة العمرية الأكبر هم إما جمهوريون أو يميلون للحزب الجمهوري، بينما تبدو الفوارق العمرية بين الديمقراطيين أو الذي يميلون للحزب الديمقراطي أقل دلالة. وينطبق على الموقف من الفلسطينيين؛ فالجمهوريون من الشباب أقل من 30 عاماً لديهم نظرة أكثر تفضيلاً للشعب الفلسطيني ونسبة 48%، مقابل نظرة أقل تفضيلاً للشعب الإسرائيلي، وبينما لدى الفئة العمرية أكثر من 30 فإن 30% فقط لديهم نظرة تفضيلية للشعب الإسرائيلي.

وفق مصفوفة التناقض هذه بين الحزبين فإن أكثر ما يثير قلق الصهيونيين الليبراليين المتحالفين مع الحزب الديمقراطي والذين يصوتون له بشكل دائم نسبياً في الانتخابات العامة، وهو أن الحزب بدأ يشهد تصدعات وتيارات متباينة بشأن "إسرائيل" والفلسطينيين. فبالنسبة لهذا التيار الصهيوني لا يبدو خيار التحالف مع اليمينيين الجمهوريين متاحاً ولا مقبولاً، وهو ما يعني تآكل محور القوة الذي يدعم إسرائيل في سياق الإجماع الحزبي، ويقدر ما تظهر هذه الاستطلاعات تلك الهوية المتسعة ما بين الجمهوريين والديمقراطيين فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ومكانة دولة "إسرائيل" لدى جمهور الحزبين، فإن هذه الهوية تصبح ذات صلة وثيقة بمبادئ وقيم الليبرالية بشكل خاص لدى الجيل الشاب والتقدمي في أوساط اليهود الأمريكيين؛ وهي الحالة المقابلة والمضادة للتحالف اليميني-المسيحي-الصهيوني الذي تناولناه في الجزء السابق من دراستنا هذه. ولقد كانت أحداث مدينة "تشارلوتزفيل"<sup>12</sup> نقطة تحول في الجدل الدائر في أوساط يهود الولايات المتحدة الأمريكية حول علاقة الصهيونية باعتبارها قومية منغلقة بدعاة القومية البيضاء من

<sup>12</sup> شهدت هذه المدينة بولاية "فرجينيا" الأمريكية تظاهرة لما يسمى بأنصار "القومية البيضاء" (أو ما يعرفون كأناصر التفوق العرقي الأبيض) في شهر أي من العام 2017. وقد تخلل التظاهرة بالمقابل وجود عشرات النشطاء الليبراليين والتقدميين الذين خرجوا للتعبير عن رفضهم للفكر العنصري لحركة "القومية البيضاء". ولقد تخلل هذه التظاهرة قيام العديد من عناصر "القومية البيضاء" بالاعتداء الجسدي على معارضتهم، وقام أحدهم بدهس وجر سيدة من المتظاهرين تحت سيارته ما تسبب بوفاتها.

جمهوريين يمينيين، ومن أتباع حركات مسيحية أصولية وقومية متطرفة. في هذا الشأن يقول (فيليب وايس) كبير محرري مجلة "موندووايس" بأن أحداث "تشارلوتزفيل" قد وضعت الصهيونيين الليبراليين في الزاوية. فبحكم أن حركة "القومية البيضاء" تهاض الغرباء وغير البيض بما فيهم اليهود، ولكنها تلتقي مع الصهيونية من حيث أن كلاهما حركتين قوميتين منغلقتين؛ فكيف يمكن أن تستنكر الصهيونية الليبرالية حركة القومية البيضاء في أمريكا وتبارك وتحفل بالقومية اليهودية في إسرائيل؟ (Weiss, 2017) إن هذا النقد يأتي بالتحديد من قبل القوى الليبرالية والتقدمية اليهودية في مواجهة نفاق الصهيونية الليبرالية ليس فقط بشأن موقفها من القومية البيضاء، بل لأن التقاء القوميتين (اليهودية والبيضاء) سيضع اليهود في الولايات المتحدة في مرمى استهداف المتطرفين البيض المسيحيين، ولأن ما كان سابقاً إجماع يهودي حول إسرائيل لم يعد قائماً. فاليهود في الولايات المتحدة منقسمين اليوم إلى ثلاث تيارات كما تظهر معالجاتنا حتى اللحظة: الصهيونيين القوميين، الصهيونيين الليبراليين (بخاصة منظمة جي ستريت)، والتقدميين اليساريين والليبراليين. ستكون العلامة الفارقة لهذه الانقسامات هي الموقف من ازدياد العداء للسامية في أمريكا، وهو ما دفع بأبرز قادة الصهيونيين الليبراليين (جوش مارشال) إلى المناداة بضرورة أن يبقى الحزب الديمقراطي موحداً بشأن "إسرائيل" بحكم التهديد الحقيقي والقريب للسامية، التي بدأت تطل برأسها هنا في الولايات المتحدة، حسب قوله (Marshall, 2016). وبينما ستستغل إدارة ترامب هذا الخوف المتأصل عند اليهود بتبني تعريف جديد للسامية، ستعتبره قوى الصهيونية القومية انتصار هام، وستراه القوى التقدمية واليسارية ضرب من ضروب اللسامية واستغلال اليهود لقمع الفلسطينيين وأنصارهم لحساب "إسرائيل"، وبما يهدد جمهور اليهود عموماً في الولايات المتحدة الأمريكية، على يدي إدارة يعتبر رئيسها معادياً للسامية.

#### المبحث الخامس:

#### تغيير مفهوم "اللامسامية" والقمع السياسي للأصوات المساندة للفلسطينيين

إن من المرجح أن العالم وفي مقدمته اليهود سينتذكر العام 2019 باعتباره العام الذي تغير فيه تعريف العداء للسامية ليصبح ذا محتوى سياسي يميني، تاركاً اليهود واليهودية عرضة لغلواء اليمين القومي الشوفيني في أوروبا، واليمين المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومع صعود قوى اليمين في الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة بفوز (دونالد ترامب) في الانتخابات الرئاسية في العام 2016، وفوز أحزاب اليمين في الانتخابات العامة في عدد من الدول الأوروبية (هنغاريا، بولندا، النمسا، بريطانيا) وتحقيقها إنجازات انتخابية في أخرى مثل: ألمانيا والسويد، ويشهد العالم موجة من الشوفينية الصاعدة التي مكنت اليمين من تحقيق هذه المكاسب. وفي الولايات المتحدة الأمريكية -محل اهتمامنا هنا- صاحب صعود "ترامب" ورافق سنواته الثلاثة في الرئاسة حتى اليوم موجة من الزحف اليميني التي تجاوزت أحداث "تشارلوتزفيل" انفة الذكر واتسعت لتشمل غير اليهود<sup>13</sup>. ليس من المفاجئ، كما يقول (ماشيا غيسين) أن تزداد حالات التعرض لليهود والعداء للسامية بمعدل 60% في السنة الأولى لإدارة "ترامب"، وهو رقم غير مسبوق في تاريخ البلد، كان اخرها إطلاق النار على محل بيع "كوشير" (حلال) في مدينة "جيرسي" قتل فيه أربعة أشخاص (Gessen, 2019). فقد تكررت حوادث الاعتداء على اليهود وعلى غير البيض بشكل ملفت خلال هذه الأعوام، ولقد كان الهجوم الدموي المسلح على كنيس "شجرة الحياة" في مدينة "بتسبرغ" في ولاية "بنسلفانيا"<sup>14</sup> لحظة فارقة في سجل تعامل إدارة ترامب مع ظاهرة اللسامية من خلال قوانين، وأوامر رئاسية تنفيذية، وتعيين مبعوث خاص لترجم -بعكس الادعاء الظاهر- استغلال التحالف الصهيوني-اليميني -المسيحي لليهودية لأغراض سياسية أهمها ملاحقة والتضييق على الأصوات المناهضة للصهيونية و"إسرائيل".

#### - قانون "الوعي بالعداء للسامية" للعام 2019:

في سعيه المحموم لكسب قاعدة من أصوات الناخبين في أوساط اليهود الذين تصوت غالبيتهم لمصلحة الحزب الديمقراطي يلجأ الرئيس ترامب وحلفائه إلى أكثر الوسائل إثارة للجدل، بل حتى لاتهامه علناً بالعداء للسامية، المفارقة أن "ترامب" يمارس مناورة

<sup>13</sup> شملت حملات العداء لغير البيض في سنوات إدارة ترامب المهاجرين من أصول لاتينية مثل: القتل العشوائي الذي حدث في مدينة "إل باسو" بولاية تكساس وراح ضحيته 22 شخصاً من أصول مكسيكية، وقد اعتبرت تلك الحادثة جريمة كراهية، موجة الاعتداءات طالت كذلك المجتمع المسلم، فقد زادت بسببها بمقدار 6% في العام 2016 حسب مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي، وكما عرضته شبكة سي. إن. إن الإخبارية.

<https://www.cnn.com/2016/11/14/us/fbi-hate-crime-report-muslims/index.html>

<sup>14</sup> في شهر أكتوبر تشرين ثاني عام 2018 تعرض هذا الكنيس اليهودي لهجوم مسلح خلال صلاة السبت قتل فيه أحد عشر شخصاً، وأصيب ستة بجراح، وهو أكثر الهجمات فداحة ضد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية. الجاني رفض الإقرار بالذنب أمام المحكمة، وأصر على ما كان قد كتبه على أحد مواقع التواصل الاجتماعي والذي يعبر فيه عن عداوته للسامية وللمهاجرين اللاتينيين إلى الولايات المتحدة.

خطيرة لدفع هذه الاتهامات عن نفسه من جهة، ولإسكات وتخويف معارضيه الديمقراطيين والليبراليين واليساريين المناصرين لحقوق الشعب الفلسطيني من جهة أخرى. يستغل "ترامب" -بهذا المعنى- سلطاته الدستورية لخلق واقع قانوني يعيد تعريف اللاسامية، وتعريف الانتماء اليهودي في الولايات المتحدة، وبشكل يفصح التحالف الانتهازي بينه وبين الحزب الجمهوري والمنظمات الصهيونية، والمسيحية -الصهيونية.

ودفعت إدارة "ترامب" من خلال القوى اليمينية والصهيونية في مجلس الشيوخ نحو تبني وتمير قانون جديد يعيد تعريف العداة للسامية، ففي شهر آذار من العام 2019 أصدر المجلس قانون (S 852): "قانون إعادة تعريف اللاسامية بهدف إنفاذ القوانين الفدرالية لعدم التمييز المتعلقة بالبرامج والأنشطة الأكاديمية" الذي قدمه السيناتور "تيم سكوت" من الحزب الجمهوري وبرعاية ومشاركة 16 سيناتور من الحزبين الجمهوري والديمقراطي. القانون سيمكن وزارة التعليم من معاقبة الجامعات التي لا تقوم باتخاذ إجراءات تأديبية بحق طلابها ومدرسيها الذين ينتقدون إسرائيل، الأمر الذي سيدفع بالجامعات لاتخاذ تدابير استباقية خوفاً من إمكانية حرمانها من التمويل الذي تحصل عليه من هذه الوزارة. إن أبرز ما القانون هو اعتبار أي نقد موجه لإسرائيل أو الصهيونية بمثابة عداة للسامية كما جاء في المادتين رقم 10، و 11 من القانون. تقول المادتان بأن القوانين المعمول بها سابقاً لا "تعالج المظاهر الجديدة للعداة للسامية بما فيها السلوك التمييزي المعادي للسامية والذي يأخذ صيغة العداة لإسرائيل أو الصهيونية... وهذا يشمل أي سلوك مناهض لإسرائيل يتعدى خط العداة للسامية".<sup>15</sup>

وليس من قبيل المصادفة أن يسبق إصدار القانون ويرافقه حملة انتخابية لحساب الرئيس "ترامب" لانتخابات العام 2020 تميزت بالتحريض من قبل القوى اليمينية المحافظ والمسيحية الصهيونية ممثلة بأتباع الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية بالتركيز على مفهوم مشوه لعداة السامية بحيث تحول من العداة لليهودية إلى العداة لإسرائيل. لقد أطلق "الائتلاف اليهودي الجمهوري" RJC حملته الانتخابية للرئاسة للعام 2020 يوم الثلاثاء (19-11-2019)، بإعلان تحريضي بعنوان "شاندا" أو "العار" بلغة يدش "Yiddish" يتهم قادة ديمقراطيين مثل: "إليزابيث وارين" و"بيرني ساندرز" المنافسين للحصول على ترشيح الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة 2020 بأنهم معادون لإسرائيل كونهما طالباً بمنع المساعدات عن إسرائيل ما لم تغير حكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو سلوكها.<sup>16</sup> وبهذا المعنى فإن الرئيس ومعه المشرعون في مجلس الشيوخ وبضغط معن من المسيحيين -الصهيونيين يخلقون تمفصلاً جديداً للسامية: عوضاً عن أن تكون ظاهرة تعبر عن العداة لليهودية واليهود كما كان الحال تاريخياً، وأصبحت تعبر عن مناهضة "إسرائيل" والصهيونية، وبحيث تضع يهود الولايات المتحدة في اختبار سياسي انتهازي للاختيار بين من تتهمهم إدارة "ترامب" بمعاداة السامية وبين الحزب الجمهوري بقيادة "ترامب". وتهدف هذه الحملات إلى محو الفواصل بين اليهودية من جهة، وبين الصهيونية و"إسرائيل" من الأخرى: "ترامب" ذاته كان قد اعتبر تصويت يهود أمريكا لصالح الحزب الديمقراطي بمثابة "خيانة" لليهودية ولدولة إسرائيل؛ ففي معرض هجومه على النائب "إلهان عمر" والسيناتور "رشيدة طليب" اعتبر بأن "الديمقراطيين (أي الحزب الديمقراطي) قد فرطوا بالدفاع عن إسرائيل قائلاً: "أين ذهب الحزب الديمقراطي؟ أين ذهبوا في الدفاع عن هاتين المرأتين على حساب دولة إسرائيل. وأعتقد أن أي شخص يهودي يصوت لديمقراطي يظهر إما جهله التام أو خيانه كبرى. (ترامب، 2019) ربما لا يكون من النافر أن تصدر هذه التصريحات عن الرئيس المعروف بعدائه لغير البيض، إلا أن الملفت هو امتناع الحكومة الإسرائيلية، وأوساط نافذة في الحركة الصهيونية في أمريكا عن التعليق على هذه العبارات التي تعتبر من زاوية معينة معادية لليهود، وتحرض ضدهم، وحسب بعض المسؤولين الإسرائيليين فإن هذا الموضوع يعتبر شأناً سياسياً داخلياً في الولايات المتحدة الأمريكية وبأن على إسرائيل أن تحافظ على علاقاتها بالحزبين الجمهوري والديمقراطي. الردود على سياسات ترامب أتت من أوساط اليهود أنفسهم داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

اعتبرت الحاخام "إليسا وايس" في مقالة لها في صحيفة "نيوز ويك" بأن سياسات ترامب هي استغلال سياسي من قبل "ترامب" للشعب اليهودي للتغطية على عنصريته. وتضيف في مقالتها تعليقا على تصريحاته حول خيانة اليهود الواردة أعلاه والذي أعلن فيه بأن على النائب "إلهان عمر" (من إفريقية) العودة إلى حيث أتت متهما إياها مع السيناتورين "رشيدة طليب" و"أوكاسيو-كورتيز" بالعداة للسامية، اعتبرت "وايس" ذلك اتهاماً عنصرياً بحد ذاته مؤكدة: "يستخدم ترامب وحملته الانتخابية اليهود كغطاء لعنصريته وهجومه على حرية التعبير، وهذا برأيي مفرز وخاطئ ويعرض لليهود في كل مكان لخطر كبير، وينبغي له أن يتوقف." (Weiss,

<sup>15</sup> عن الموقع الرسمي لمجلس الشيوخ الأمريكي: <https://www.congress.gov/bill/116th-congress/senate-bill/852/text>

<sup>16</sup> عن صحيفة القدس 2019-11-25

(2019) هذا التقدير يتفق إلى حد كبير مع الجدل الدائر في أوساط يهود الولايات المتحدة الأمريكية حول القومية والليبرالية، والذي تناولناه في جزء سابق من هذه الدراسة. إن وضع اليهود في مواجهة القوى السياسية الليبرالية واليسارية والتقدمية من شأنه أن يعزز صورة نمطية عن اليهود كانت أحد أهم أسباب ما عانوه من ويلات، وهو تماماً ما يقوم به "ترامب" ومعه اليمين المسيحي والصهيوني خدمة لدولة "إسرائيل" ولحملته الانتخابية، وعلى حساب إمكانية تصاعد حملات انتقاد إسرائيل والتضامن مع الفلسطينيين ولاسيما في أوساط الجمهور اليهودي وجمهور الحزب الديمقراطي. وإن إدارة ترامب وسياساتها بما فيها قانون "الوعي بالعداء للسامية" لا تهدف إلى حماية يهود الولايات المتحدة الأمريكية (أو اليهود عموماً) بقدر ما تعمل على المساواة بين الأفعال والأقوال التي تنطوي على العداء للسامية وتلك التي تنتقد دولة "إسرائيل" والصهيونية، وهذا هو التحول الجذري الذي أدخلته إدارة الرئيس ترامب على مفهوم اللاسامية والذي يشكل أساس ملاحقة منتقدي "إسرائيل" و"الصهيونية" على السواء، ليس أدل على ذلك من الخطوات اللاحقة للإدارة الأمريكية من خلال إصدار أمر رئاسي تنفيذي باعتبار اليهود في أمريكا قومية، وقبله تعيين مبعوث لوزارة الخارجية الأمريكية "لمكافحة عداء السامية".

### مبعوث وزارة الخارجية ومصادر معاداة السامية: أيها معادي للسامية حقاً؟

يُعدُّ "إيلان كار" مبعوث وزارة الخارجية الأمريكية "لمكافحة معاداة السامية" بأن مصادر معاداة السامية حول العالم تكمن في التطرف السياسي متعدد الأيديولوجيات. وقد حدد "كار" هذه المصادر بثلاثة هي: "المتطرفون العرقيون (البيض) من أقصى اليمين، والمعادون للصهيونية من اليسار المتطرف، والإسلاميون المنتشدون" مشدداً على أهمية محاربتها جميعاً بلا تمييز. كما أوضح في ذات التصريح بانه "عندما يتم فرض معايير مختلفة تُقيد إسرائيل ولا تنطبق على أي دولة أخرى في العالم، فإن ذلك يكون معادياً للسامية"، مشيراً إلى أنه لا ضير في انتقاد "إسرائيل" ولكن "انتقاد حق إسرائيل في الوجود أمر غير مقبول (...). إن معاداة الصهيونية تُنكر شرعية الدولة الإسرائيلية والشعب اليهودي، ولذلك دعوني أسجل هنا رسمياً أن معاداة الصهيونية هي معاداة للسامية (...). حتى انتقاد السياسة الإسرائيلية قد يكون معاداً للسامية إذا كان يتضمن معياراً لا ينطبق على أي دولة أخرى في العالم. ومع ذلك، وبخلاف تلك الحالة، فإن أي انتقاد لسياسة دولة إسرائيل أمر مشروع." (Carr, 2020) ويبدو من تصريحات "كار" التي يشوبها غموض متعمد رغم صرامتها بشأن العداء لإسرائيل أو الصهيونية، أن الموضوع برمته هو تحصين "إسرائيل" من أية اتهامات حول ممارساتها بحق الفلسطينيين؛ فإن استطاعت الإدارة الأمريكية تمرير هذا التعريف الغامض بشكل متعمد فإن القول بأن "إسرائيل" تحرم الفلسطينيين من حقوقهم الإنسانية والسياسية والقومية سيُعتبر عداءاً للسامية؛ إذ ستتضح التداخبات السياسية لهذا التعريف لاحقاً عبر مضمون "صفقة القرن". وستعتبر الدعوات لمقاطعة إسرائيل و/أو فرض العقوبات عليها، ناهيك عن الطعن بشرعيتها كدولة استعماري استيطاني وتمييز عنصري، ستعتبر معاداة للسامية، بينما هتافات المتطرفين دعاء التفوق الأبيض في مدينة "تشارلوتزفيل" التي قالت: "اليهود لن يستبدلونا" فهي ليست معادية للسامية وحسب وصف الرئيس ترامب لهؤلاء البيض فهم "أناس لا بأس بهم." (Trump, 2019) وإن جل تركيز الإدارة الأمريكية ينصب على فئة بعينها من الفئات الثلاث التي تحدث عنها "كار" وهي القوى اليسارية والتقدمية حتى في أوساط المنظمات اليهودية، بينما لم تقدم مؤتمرات محاربة اللاسامية التي عقدتها أو بادرت إليها الإدارة الأمريكية أو وزارة الخارجية أية تصورات، ولو حتى لفظية، حول التطرف اليميني الأبيض المعادي لليهود والذي يتصاعد في سنوات رئاسة ترامب، كما تلاحظ الحاخام "أليسا وايز." (Weiss, 2019) فمع صعود النزعة القومية البيضاء (أو كما تسمى في الولايات المتحدة نزعة التفوق الأبيض White Supremacism) التي أوجها واستخدمها ترامب في حملته الانتخابية باتت أحداث الاعتداء على اليهود وزيادة معاداتهم في حالة من التصاعد يقف من خلفها أصحاب الإيمان بتفوق القومية البيضاء الذين يعتبرون جزءاً هاماً من الرصيد الانتخابي لدونالد ترامب، وتربطه بهم علاقات وثيقة.

وإن الصلات بين دونالد ترامب وحملته الانتخابية من جهة، وبين دعاء التفوق الأبيض اليميني كانت لسنوات مثار جدل وانتقاد. أثارت هذه العلاقة تغريدة لترامب خلال حملته الانتخابية في مواجهة المرشحة الديمقراطية للرئاسة "هيلاري كلينتون" فقد نشر "ترامب" تغريدة تحمل رسماً للمرشحة "كلينتون" على خلفية نجمة سداسية وكومة من النقود مصحوبة بعبارة تتهمها بأنها "المرشح الأكثر فساداً على الإطلاق". ولقد اعتبر الرسم معادياً للسامية باعتباره يحتوي على صورة "نجمة داوود" الأمر الذي أنكره ترامب وحملته الانتخابية بعد تردد معتبرين أن الأمر هجوم ملقق. تحقيق شبكة "سي. أن. وأن" أظهر أن ذات الرسم كان متداولاً بكثرة بين دعاء التفوق الأبيض قبل أن يستعيره "ترامب" في تغريدته. وتلك التغريدة اعتبرها "جوناثان غرينبلات"؛ رئيس "الاتحاد ضد التحامل الديني" (منظمة يهودية صهيونية) أنها تحتوي على مضمون معادي للسامية بكل تأكيد، وبأنها أخذت من موقع لدعاء التفوق الأبيض.

(Greenblatt J., 2019)

وفي سعي إدارة "ترامب" وحلفائها إلى خلط الأوراق ومسح الفوارق بين معاداة الصهيونية وإسرائيل وبين معاداة السامية ولإظهار نفسها بمظهر الذي يحارب اللسامية، بادرت هذه الإدارة إلى عقد مؤتمر لمكافحة معاداة السامية، وأحد أبرز المتحدثين في هذا المؤتمر كان "جونثان توبين" رئيس تحرير مجلة "جويش نيوز سانديكيت (التي يملكها قطب المال الصهيوني شيلدون أدلسون المعروف بدعمه للاستيطان الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية المحتلة) والذي قدم توصيفا مختلا لعلاقات مفترضة بين الإسلام المتطرف ونخب اليسار. ويقول "توبين": "إن العداة للسامية هو أنجح أيديولوجيات القرن العشرين لأنها تطورت وربطت نفسها بأكثر من أيديولوجية؛ الفاشية والشيوعية والإسلام المتطرف. الآن الإسلام المتطرف بات حليفاً لنخب اليسار". (Tubin, 2019) يخلو الحديث هنا -مثلما عند إيلان كار- عن قوى اليمين الأبيض المتطرف وكارهي اليهود من مسيحيين يمينيين، ومن أصحاب عقيدة القومية الأمريكية البيضاء، والأمر الذي يجعل الأمر برمته غير ذي صلة بالدفاع عن اليهود بقدر ما هو الهجوم على قوى اليسار والتيارات الأيديولوجية التقدمية التي نجحت في طرح العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية على بساط البحث وفي الجدل العام، وهذه العلاقة كانت لسنوات طويلة خارج إطار الجدل العام ناهيك عن الجدل في أوساط النخب السياسية، بما في ذلك أوساط مؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وإن معاداة الصهيونية و"إسرائيل" قد تأتي من أوساط لا سامية معادية لليهود، ولكنها كذلك لا تعني أبداً أو بالضرورة معاداة اليهود؛ إذ قد تكون "معاداة" الصهيونية وإسرائيل لا صلة لها البتة بمعاداة اليهود، وتأتي من أوساط اليهود أنفسهم، ومن المسيحيين من غير الإنجيليين، ومن اليساريين، ومناصري حقوق الإنسان. هؤلاء جميعاً تصمم القوانين الجديدة والتعريف الجديد بأنهم معادون للسامية. وليس من الغريب أن من بين أكثر القضايا التي تجمع كل هذه الفئات أيضاً هي مناصرتها للفلسطينيين. إن "ترامب" وفريقه المقرب ومن خلفهما تلك القوى اليمينية والمسيحية الصهيونية قد قلبت هذه الحقيقة البسيطة على رأسها: فعاد "ترامب" واليمينيين البيض للغرباء، والملونين، واليهود باد للعيان، مع ذلك، وللهرب إلى الأمام يتخذ "ترامب" من تأييده واستجابته للصهيونية و"إسرائيل" استراتيجية تخدم غاياته وغايات الجمهوريين اليمينيين وحلفائهم. فسياساته ذات الصلة بإسرائيل كلها تشير إلى تأييده المطلق لها، لكنه بذات الوقت يطلق تصريحات ويتبنى سياسات ومواقف تعتبر بشكل لا يقبل الشك معادية للسامية". (Gessen, 2019) وبالعودة إلى تحقيق "سي أن أن" سالف الذكر فقد كشف عن الدعم الهائل الذي يتلقاه "ترامب" من دعاة التفوق الأبيض واستخدامه لشعاراتهم في حملته الانتخابية على شكل إعادة تغريدات على "تويتتر". وإن "ترامب" رفض التنصل من دعم "دافيد ديوك" له في حملته للرئاسة، ومن المعروف بأن "ديوك" هو حفيد أبرز قادة مجموعة "كو كلوكس كلان" والذي عبر مراراً عن قناعته بوجود المؤامرة اليهودية (المصدر السابق) إن علاقات "ترامب" وعنصريته تفضحه كمعادي للسامية؛ لكنه بقراراته وسياساته أكثر الرؤساء الأمريكيين تأثراً بالصهيونية والمسيحية-الصهيونية ودعماً لإسرائيل. وهذا التناقض يصبح أكثر وضوحاً بالنظر إلى الأمر الرئاسي التنفيذي حول اليهودية، والذي يخدم غرضين تبعاً للسياق التحليلي الذي قدمناه والذي لا يمكن فهم الأمر الرئاسي إلا في إطاره.

#### - اليهودية كقومية في الولايات المتحدة الأمريكية:

أصدر الرئيس "ترامب" أمراً تنفيذياً يعتبر الديانة اليهودية بموجبه انتماء قومي، القرار من شأنه - حسب إعلان البيت الأبيض - أن يعزز محاربة اللسامية في حرم الكليات والجامعات الأمريكية، وأن يفعل جزءاً هاماً من القانون الفدرالي للحقوق المدنية للعام 1964، والذي يطالب مؤسسات التعليم العالي التي تتلقى تمويلاً فدرالياً بمنع التمييز على خلفية قومية، ويستند القانون إلى تعريف العداة للسامية كما يقدمه "التحالف العالمي لإحياء ذكرى الهولوكوست" IHRA، ليعيد تفعيل القانون الفدرالي الخاص "بحظر التمييز على أساس العرق أو اللون أو الانتماء القومي، في البرامج والأنشطة التي تحصل على تمويل فدرالي"، وفي نهاية الفقرة الثانية من الأمر التنفيذي يعاد تعريف تعرض اليهود بشكل خاص للتمييز باعتباره على أساس عرقي وقومي.<sup>17</sup> (التأكيد بالخط المائل من عندي في الحالين)

وتعرض هذا القرار للكثير من النقد والاحتجاج وبخاصة من قبل العديد من الجماعات والمنظمات اليهودية التقدمية والتي رأت فيه نوعاً من أنواع العداة للسامية التي تدعي الإدارة الأمريكية أنها بصدد اجتثاثها، كما أنه يهدف بشكل أساسي إلى إسكات التعبير الحر للمدافعين عن حقوق الإنسان، وبالتحديد إسكات الفلسطينيين ومن يتضامن معهم من الطلبة والمحاضرين في الجامعات

<sup>17</sup> نص الأمر الرئاسي على الموقع الرسمي للحكومة الأمريكية: <https://www.whitehouse.gov/presidential-actions/executive-order-combating-anti-semitism/>

الأمريكية. (Mindock, 2019) في هذا السياق فإن حركة "بي. دي. أس" (حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها، وفرض العقوبات عليها) هي المستهدفة بشكل أساسي وبخاصة أنها اخذت في التجذر والانتشار في عدد كبير من مؤسسات التعليم العالي الأمريكية ومن بينها جامعات عريقة مثل "هارفارد" و"بيركلي". هذا ما تؤكد على سبيل المثال الحاخام "أليسا وايز" من منظمة "صوت يهودي من أجل السلام." (Weiss, 2019)

وهذا القرار التنفيذي سيزيد من قدرة الإدارة الأمريكية على محاربة انتقاد "إسرائيل" بحسبانه شكلاً من أشكال العداء للسامية، الأمر الذي سيحد من دعوات مقاطعة "إسرائيل" ومعاقتها وفرض العقوبات عليها التي تنشط بشكل ملفت في الجامعات الأمريكية، ولقد بدأت بالفعل عملية الملاحقة القانونية على هذه الخلفية في بعض هذه الجامعات. فقد بدأ مكتب الحقوق المدنية في وزارة المعارف الأمريكية تحقيقاً في جامعة "كاليفورنيا"/ "لوس أنجلوس" لاستجابتها "للدعاية والمناصرة" الفلسطينية بما في ذلك المؤتمر الذي عقد فيها في العام 2018 وجمع مئات الطلبة تحت عنوان "تحقيق المساواة في فلسطين"، والتحقيق حول محاضرة الدكتور الفلسطينية الأصل رباب عبدالهادي حول "الإسلاموفوبيا والخطاب الاستعماري والصهيونية" (Palestinelegal, 2020). ويحدث ذلك بعد أقل من أسبوعين على القرار التنفيذي للرئيس.

وفي هذا السياق فإن العديد من وسائل الإعلام الأمريكي وسواها، والناشطين الحقوقيين والتقدميين، ويتعبرون سياسات ترامب جزءاً من ميله الواضح المعادي للديمقراطية وحرية التعبير. من ذلك على سبيل المثال ما كتبه صحيفة الغارديان تحت عنوان "السياسات الرقابية الصارمة لترامب تكتم أفواه الناشطين وتقصيهم": فالإدارة الأمريكية - حسب الصحيفة - تخلصت من الطلاب الأجانب الوافدين من خلال سياساتها المشددة للدخول إلى أمريكا، وبذات الوقت تمارس سياسات رقابية مشددة على الطلبة الأمريكيين (Decell, 2018). ولقد انتهجت إدارة ترامب سياسات غير مسبوقه في منع نشاط حقوق الإنسان والناشطين والصحفيين من دخول أراضيها وإخضاعهم لفحص "أيدولوجي" يظهر مقدار معارضتهم لسياسات هذه الإدارة، وتورد صحيفة الغارديان في مقالتها المشار إليها قائمة كبيرة من الأسماء الذين منعوا من دخول البلاد في ظل الإدارة الحالية لدونالد ترامب، ومرة أخرى نتحدث إدارة ترامب بلغة الدفاع عن اليهود - هذه المرة كانتمئة قومي - وتمارس بحقهم أشكالاً مختلفة من التمييز: فإلى جانب أن تمييز اليهود كقومية في الولايات المتحدة الأمريكية هو في أحد جوانبه معادي للسامية إذ يفترض أن لديهم انتماء لغير الولايات المتحدة مما يعيد الجدل الخطير حول ازدواجية ولاء اليهود التي أشرنا إليها في الجزء الثاني من هذه الدراسة إلى جانب هذا الاعتبار المبدئي فإن ما سبق ورافق القرار الرئاسي يقدم مزيداً من أدلة الإدانة لترامب" لسلوكه العنصري تجاه اليهود ولوضعه "إسرائيل" في مقدمة أولوياته على حساب اليهود؛ والفلسطينيين بطبيعة الحال.

في هذا الصدد تلاحظ "إميلي ماير" المدير السياسي لمجموعة "المناصرة اليهودية" Jewish Advocacy بأن نزعة ترامب اللسامية عشية إصداره للقرار التنفيذي تبدو صريحة في ربطه بين اليهود والمال. تقول "ماير": "إن قرار اعتبار اليهودية قومية يغذي الفكرة المتحاملة القديمة التي تقول أن يهود أمريكا ليسوا أمريكيين." (Mindock, 2019) لقد أدت تصريحات ترامب حول علاقة اليهود بالمال إلى موجة سخط وانتقاد في الأوساط السياسية والإعلامية؛ إذ كيف يمكن إن يصدر قرار "صارم" لمعاينة العداء للسامية وبمعناها الموسع من قبل رئيس يعتبر بأن المصلحة الأولى لليهود في أمريكا هي الحفاظ على المال. وجاءت هذه الانتقادات بشكل خاص من الحزب الديمقراطي وأوساط اليهود التقدميين. فقد اعتبرت النائب "أليكساندريا أوكاسيو-كورتيز" أن تصريحات الرئيس معادية للسامية بقوله مخاطباً الناخبين اليهود: "أمام اليهود خيار واحد وهو انتخابي في العام 2020 لأن الديمقراطيين ينوون فرض ضرائب على الأغنياء وأنتم يهكم الحفاظ على أموالكم". وانضم إلى هذا الانتقاد مجموعة Jewish Democratic Council of America التي أصدرت بياناً اعتبرت فيه أن تصريحات ترامب "مهينة وتعزز قناعتنا أن الرئيس ترامب هو التهديد الأكبر لليهود الولايات المتحدة الأمريكية." (المصدر السابق) وقد ذهب بعض المحللين اليهود إلى حد تشبيه ممارسات "ترامب" المتعلقة باليهود بالزعيم النازي "هتلر". ويقول الكاتب والمحلل "برادلي برستون" وعلى صفحات جريدة "هارتس" الإسرائيلية: "ترامب ليس هتلر، إلا أن ممارساته وأقواله تشجع وتقوي أنصاره الذين يتطلعون إلى بروز هتلر الخاص بهم (...). عندما يتحدث الرئيس الأمريكي [المقصود دونالد ترامب] في تجمع انتخابي عن الصحفيين أصحاب المصداقية، والمسيحيين - الأمريكيين، وكل غير المسيحيين، وكل منتخب الحزب الديمقراطي باعتبارهم لا ولاء لهم وأنهم جميعاً أعداء للدولة، فإنه ليس مضطراً لاستخدام ذات العبارات التي تروق لأنصاره التواقين لهتلر وهي: شعب واحد، دولة واحدة، وفوهرر (زعيم) واحد." (Burston, 2020) الأمر يتجاوز مجرد الشعبية التي تستخدم لحشد الأنصار اليمينيين من كل الألوان، بل إن إشاعة الاتهامات والتخوين والتحريض ضد المعارضين السياسيين والأيدولوجيين هي الحاضنة التي ولدت من رحمها سياسات العداء لليهود واليهودية، ومساندة إسرائيل، وفي إطارها تتم محاربة الفلسطينيين باسم مكافحة

اللاسامية والدفاع عن إسرائيل.

ولا يبدو أن الانتقادات والمعارضة، ولا سيما في أوساط اليهود تحدث فرقا بالنسبة "دونالد ترامب" ولمستشاره "جاريد كوشنير" الذي يعتبر عراب كل سياسات الإدارة الأمريكية في هذا الشأن، مثلما في شأن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. ويبدو أن الهم الأول والمطلق لهذه الإدارة خدمة "إسرائيل". وإعادة تعريف اللاسامية بأكثر الطرق تسييسا يظهر بأن الهدف من إصدار الأمر التنفيذي الرئاسي ليس الدفاع عن اليهود واليهودية بل عن الصهيونية و"إسرائيل"، وهو ما يتضح من ما كتبه "جاريد كوشنير" في صحيفة التايمز موضحا دوافع إدارته بالقول: "إن تعريف اللاسامية الوارد في الأمر الرئاسي يوضح موقف إدارتنا المعلن وهو أن معاداة الصهيونية هي معاداة للسامية." (Kushner, 2019) في هذا الصدد كتب "ماشا غيسين" بأن مصدر هذا التعريف هو لجنة "التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست" والذي بذل جهودا كبيرة للربط بين معاداة الصهيونية وإسرائيل وبين معاداة السامية. ويلاحظ الكاتب بأنه وإن كان من الصحيح بأن معاداة الصهيونية تستخدم في بعض الأحيان لتبرير معاداة اليهود والتمييز ضدهم، وأنك قد تجد من بين منتقدي إسرائيل من هم معادون للسامية، ولكن ذلك -حسب الكاتب- لا ينفي بأن "إسرائيل" قد أوجدت نظام فصل عنصري فعال، وبأنها حسب العديد من منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية تسيء معاملة الفلسطينيين في داخل "إسرائيل" وفي الضفة الغربية وفي قطاع غزة." (Gessen, 2019) أي أن "إسرائيل" ليست كأى دولة في العالم -بحكم أنها دولة فصل عنصري واستعمار استيطاني- لكي تنطبق عليها المعايير التي يعتد بها "إعلان كار" مبعوث وزارة الخارجية الأمريكية لمكافحة اللاسامية، ومن الواضح بأن إدارة "ترامب" عازمة على المضي إلى أبعد مدى في محاباتها للصهيونية ولدولة "إسرائيل" حتى وإن كانت غارقة في العنصرية. ويصف "ترامب" علاقات بلاده بإسرائيل بأنها أفضل من أي وقت مضى، وقال "علينا أن ندفع الأميركيين لحب إسرائيل أكثر (...). إن رؤساء الولايات المتحدة طوال عشرين عاماً كانوا يعدون إسرائيل دون نية للوفاء بتلك الوعود؛ ولكنني وعدت وأوفيت". وجاء هذا التفاخر في كلمته أمام المؤتمر الوطني للمجلس الإسرائيلي الأميركي "إيباك". وليس من المدهش أن تكون ذروة تفاخره هي ما ألحقه بالقضية الفلسطينية من أذى يصعب تداركه، ففي ذات الخطاب يقول "ترامب": "إن أفضل ما قدمته هو الانسحاب من اتفاق فيينا النووي ومواجهة إيران، الراعي الأكبر للإرهاب حول العالم"، وأضاف: "رؤساء ووزراء حكومات وملوك حاولوا إقناعي دون جدوى بعدم الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل... كانوا يحذرونني من أن ذلك سيتسبب بموجات عنف لكنها لم تحدث"، معتبراً أن الاعتراف بسيادة إسرائيل على الجولان: "كان ضرورياً لدعم الأمن الإسرائيلي". كما دان ترامب حملات حركة مقاطعة إسرائيل "بي دي إس"، مؤكداً أن إدارته اتخذت قراراً باعتبار المستوطنات الإسرائيلية لا تتعارض مع القانون الدولي." (Trump, 2019) وتجسد هذه السياسات كل ما سعت "إسرائيل" للحصول عليه من الإدارة الأمريكية منذ سنوات، وبذات القدر تعكس التطورات السياسية المحلية في "إسرائيل" ذاتها من حيث الانزياح اليمين للخطوة السياسية فيها نحو اليمين واليمين القومي-الديني الأصولي المتطرف. لقد لعبت القوى اليمينية المسيحية، والصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مساندها غير المشروطة لليمين "الإسرائيلي" في هذا الانزياح الثابت نحو الفاشية، إنه التقاء فريد بين هذه القوى وبين وصول أقصى اليمين الإسرائيلي إلى مركز عملية صنع القرار التي تجد تعبيراتها في تشجيع ورعاية الحكومة الإسرائيلية للاستيطان المكثف للضفة الغربية، ولتحويل المكانة الدونية لغير اليهود إلى واقع قانوني بحكم "قانون القومية". وإن أفكار رئيس الحكومة الإسرائيلية التي عبر عنها عندما انتخب عضواً في "الكنيست" تجد اليوم فرصتها للتحقق بفعل الدور المتعاظم لقوى اليمين المسيحي والصهيونية في قرارات الإدارة الأمريكية. فقد رأي "نتنياهو" حينها (في العام 1988) أن أمام إسرائيل فرصة لطرد (تطهير عرقي) للفلسطينيين عبر استغلال انشغال العالم بأحداث "تيان ان منه" في الصين". اليوم تستغل "إسرائيل" الغارقة في الأصولية اليمينية صعود تلك القوى المماثلة في إدارة ترامب لتحقيق حلم "إسرائيل" الكبرى ليس كأمر واقع فحسب بل وبحكم القانون والقبول والشرعية الممنوحة من "واشنطن".

## الخاتمة والاستنتاجات

### "صفقة القرن": التعبير الأكثر فظافة عن سياسات إدارة ترامب

تمثل "صفقة القرن" التي أعلنها الرئيس "ترامب" الشهر الماضي ضرباً من الأوامر الرئاسية التنفيذية التي تخلع الشرعية والقبول على العقائد الأساسية المنشأة للصهيونية؛ الخطة هي ذروة التأثير المتعاظم لتحالف قوى اليمين الجمهوري والصهيونية والمسيحية الإنجيلية، وفق ما عرضناه من معالجات تحليلية لدور هذا التحالف في رسم سياسات الإدارة الأمريكية تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي فإنه يمكن فهم هذه "الصفقة" بوصفها مقايضة مزدوجة: بين "ترامب" و"نتنياهو" وتحالف اليمين الأمريكي لتعزيز حظوظ الحزب الجمهوري وحلفائه في الانتخابات الرئاسية المقبلة في أمريكا من جهة، وبين هذا التحالف وقوى الاستعمار-الاستيطاني

الصهيوني في المناطق الفلسطينية المحتلة حول المدى الذي ستهب إليه "الصفقة" في تطبيق وإنفاذ الادعاءات الإثنية-الدينية للصهيونية في هذه المناطق.

وإن الاستجابة التامة من قبل "ترامب" لما يمكن وصفه بقائمة أمنيات الحركة الصهيونية وامتداداتها في الولايات المتحدة الأمريكية، تعكس قدرة التحالف المشار إليه على تشكيل مواقف وسياسات الرئيس الأمريكي من حيث: استبعاد إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة، واستثناء ذكر حق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره، بالمقابل فإنها تقدم اعترافاً صريحاً ليس بالنزعة الاستعمارية-الاستيطانية للدولة العبرية والصهيونية، بل فوق ذلك بالتصورات الإثنية-الدينية للصهيونية وللمسيحيين-الصهيونيين والمتعلقة بأرض فلسطين.

وتعترف "الصفقة" لإسرائيل بالحق في ضم كل المستوطنات المقامة في المناطق الفلسطينية المحتلة، وضم غور الأردن. وهذا بطبيعة الحال يضاف إلى الإعلان السابق عن القدس عاصمة لإسرائيل، وبالمقابل تقدم للفلسطينيين وعداً مشروطاً بإقامة "فلسطين الجديدة" على الممزق المتبقي من هذه المناطق بعد أن تسيطر الدولة العبرية على كل الحيز الحيوي فيه. يتطابق محتوى "صفقة القرن" مع ما جاء في "قانون القومية" الإسرائيلي (قانون أساس) الذي تم تبنيه في العام 2018، والذي يحرم الفلسطينيين من أي حقوق تاريخية أو قومية في أرضهم. ينص القانون على أن حق تقرير المصير في الوطن القومي لليهود: فلسطين (إسرائيل) بلغة القانون المذكور) هو حق حصري لليهود. وإذا كان القانون لا يذكر صراحة المرجعية التوراتية فإنه يمثل جل الادعاءات الصهيونية المستمدة من الادعاءات التوراتية، وبخاصة فيما يتعلق بالاستيطان. وينص القانون على أن تطوير الاستيطان في كل مكان هو قيمة قومية يجب دعمها وتشجيعها، وهذا يشمل المناطق الفلسطينية المحتلة. القانون إذاً يقطع تماماً علاقة الفلسطيني بأرض وطنه. تأتي "صفقة القرن" كترجمة تكاد تكون حرفية لهذا القانون.

وإن جوهر ما تعلنه "الصفقة" هو الصهيونية ومن بعدهم الإسرائيليين هم الوحيدون الذين يشكلون شعباً ولهم وحدهم الحق بالأرض، ويعدُّ "وعد بلفور" للفلسطينيين بمثابة "غير اليهود" وبأن لهم فحسب حقوقاً مدنية ودينية، فإن الصفقة تعيد تقديم هذا الأساس بإنكارها للحقوق الوطنية للفلسطينيين باعتبارهم السكان الأصليين للبلاد، وهو ما دأبت الحركة الصهيونية عليه منذ بواكير وجودها على الأرض الفلسطينية حتى اليوم. فالصفقة تنكر أي صلات تاريخية، روحية، ثقافية، أو حقوقية بين الفلسطينيين ووطنهم، بينما تعترف بذلك للصهيونية وإسرائيل. كان هذا ولا زال محور الأيديولوجيا الصهيونية منذ أن كتب "هرتزل" في العام 1898 رسالة يرد فيها على عمدة مدينة القدس آنذاك "يوسف ضياء" يقول فيها *إن وجود غير اليهود في فلسطين ليس مشكلة... من قال أننا سنطردهم*. وفي ذات تؤكد التصريحات المبكرة لأول رئيس وزراء لإسرائيل "ديفيد بن غوريون" هذه الأيديولوجيا الإقصائية. ففي رسالة لابنه في العام 1937 عبر عن تطلعه إلى مزيد من الأرض أكبر من التي حددتها "عصبة الأمم" لإقامة الوطن القومي لليهود. واعتبر بأن إقامة دولة على جزء من الأرض هو البداية، وهي الخطوة الأولى على طريق "استعادة Redem البلاد. وفي خطابه في العام 1952 احتفالاً بإقامة طولة إسرائيل، وقال: "هذه الدولة لا تتطابق مع الأرض... لا تتطابق مع الشعب. إن علينا التفريق بين دولة إسرائيل وأرض إسرائيل". وإن صفقة القرن هي تحقيق لهذا التطابق الذي أراده "بن غوريون" لتحقيق العقيدة الصهيونية الإثنية-الدينية عما يوصف بأرض إسرائيل الكبرى. تصريحات "بن غوريون" و"صفقة القرن" يعكسان ذات الادعاء التوراتي بأن تلك الأماكن المرتبطة بالروايات التوراتية لا توجد بغالبيتها في حدود دولة إسرائيل كما جاءت في قرار التقسيم رقم 181؛ بل إن غالبية هذه الأماكن موجودة في كل أنحاء "الضفة الغربية"، وهذا ما يفسر إلى حد كبير دوافع إسرائيل لشن عدوان 1967 ومشروعها الاستعماري-الاستيطاني في هذه المناطق.

ولم تخرج "الصفقة" إلا من تلك الأوساط المسيحية-الإنجيلية والصهيونية واليمينية التي عملت عن قرب مع الفريق الرئاسي الذي أعد بنودها وخرائطها، ويتكون هذا الفريق من مجموعة من اليمين الأصولي والصهيوني وعلى رأسهم جاريد كوشنير. ليس من الغريب أن يكون من بين أبرز الحضور لحظة إعلان الصفقة القس "جون هاغي" رئيس منظمة "مسيحيون موحدون من أجل إسرائيل" والذي يدعو علناً لفرض السيادة الإسرائيلية على المواقع التوراتية في الضفة الغربية؛ أي ضم إسرائيل لغالبية الضفة الغربية. وكان هذا القس قد قدم صلوات خاصة في مراسم افتتاح السفارة الأمريكية في القدس في العام 2018 إيذاناً باعتبارها عاصمة إسرائيل. تمثل صفقة القرن أبرز مخرجات التحالف اليميني-المسيحي-الصهيوني الذي أبرزنا أدواره الاستثنائية في صنع قرارات إدارة "ترامب" المتعلقة بالقضية الفلسطينية. التحالف -مثلما أوضحنا- ليس مجرد حلف سياسي انتهازى على أهمي ذلك، بل يعكس قنوات عقيدية عميقة تشمل إلى جانب "كوشنير" كل من "جيسون غرينبلات" و"مايك بومبيو" و"ديفيد فريدمان". وقد عمل هذا الفريق لتوجيه سياسات الإدارة للعمل على محورين مترابطين: الأول، ومحاولة إعادة تعريف اليهودية واللامسامية في سياق من أجواء القمع السياسي والتخويف لتقليص حجم ردود الفعل الداخلية والمعارضة لهذه السياسات، والثاني هو منح الشرعية لكل ما تراه "إسرائيل" شروطاً لا تقبل الجدل من أجل وضع حل تصفوي للقضية الفلسطينية بضمن تهويداً كاملاً لحوالي 80% من أرض فلسطين التاريخية.

## قائمة المصادر والمراجع

ترامب، د. (2019) أخبار موقع الجزيرة نت: <https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/8/21>  
عريقات، ص (2019) موقع الأمة الإخباري مقابلة صحفية، [/https://al-omah.com](https://al-omah.com)  
كار، إ (2020) تصريحات، صحيفة القدس المقدسية: [/http://www.alquds.com/articles/1579199239492639300](http://www.alquds.com/articles/1579199239492639300)

## References

- Arendt, H (2019) "Hannah Arendt Would Agree with Ilhan Omar." Mondoweiss: <https://mondoweiss.net/2019/03/hannah-arendt-would/?fbclid=IwAR3ea2ZN74FaND3yXMIYFvvdIDVx-SW7resNoUuLCSOMsuRG6uHJv-FLh6I>
- Ben-Eliezer, U. (2019) War Over Peace: One Hundred Years of Israel's Militaristic Nationalism, 1st ed, (Boston: University of Harvard Press)
- Burston, B. (2020) "In 2020 America, Hitler is Winning," HAARETZ: <https://www.haaretz.com/opinion/.premium-in-2020-america-hitler-is-winning-1.8503349?fbclid=IwAR2mPhZhVEIWOH058S64xq3TwANBZQehAKzigpr1quDNIWY3M1wv8KGNp7Q>
- Decell, C. (2018) "Trump's Extreme Vetting is Muzzling Activists and Shutting them Down," The Guardian: <https://www.theguardian.com/commentisfree/2018/apr/20/trump-extreme-vetting-activists-censorship-immigration>
- Gessen, M. (2019) "The Real Purpose of Trump's Executive Order on Anti-Semitism," The New Yorker: <https://www.newyorker.com/news/our-columnists/the-real-purpose-of-trumps-executive-order-on-anti-semitism>
- Greenblatt, J. (2019) statement, Times of Israel: <http://ar.timesofisrael.com>
- Fishman, I. (2019) "Why Young Jews Don't Trust what their Institutions Say about Israel," +972 Magazine: <https://www.972mag.com/why-young-jews-dont-trust-what-their-institutions-say-about-israel/129746/>
- Friedman, D. (2019) statement, Times of Israel: <http://ar.timesofisrael.com>
- Hagee, J. (2008) a statement, reported in Jewish Press: <https://www.jewishpress.com/indepth/opinions/hagee-the-holocaust-and-us/2008/06/04/>
- Hobbes, T. (1968) Leviathan, ed. C. B. Macpherson (Harmondsworth, UK: Penguin, p. 13)
- Kant, I (1957) Perpetual Peace, ed. Lewis Beck (New York: Macmillan)
- Keohane, R, and Nye, J. (1977) Power and Interdependence, (Boston: Little Brown)
- Kohen, A. (2019) interview, Philip Weiss, Mondoweiss: [https://mondoweiss.net/2019/10/american-jews-are-sick-and-tired-of-israel-says-leading-rabbi/?fbclid=IwAR1VXJj-w\\_DgIBgcWp7\\_yTZCDYmc5HZibPMno6JCvF5HBlXABVOsa6TKUY](https://mondoweiss.net/2019/10/american-jews-are-sick-and-tired-of-israel-says-leading-rabbi/?fbclid=IwAR1VXJj-w_DgIBgcWp7_yTZCDYmc5HZibPMno6JCvF5HBlXABVOsa6TKUY)
- Kushner, J. (2019) "Trump is Defending Jewish Students," The New York Times: <https://www.nytimes.com/2019/12/11/opinion/jared-kushner-trump-anti-semitism.html>
- Marshall, J. (2016) "Keith Ellison," TPM: <https://talkingpointsmemo.com/edb/keith-ellison>
- Mearsheimer, J. (1994) "The False Promise of International Institutions," International Security 19:3 (Winter 1994-95): 5-49
- Mindock, C. (2019) "A dangerous Move to Silence Free Speech: Jewish Groups React to Trump's Plan to Designate Judaism as a Nationality," Independent: [https://www.independent.co.uk/news/world/americas/us-politics/trump-judaism-nationality-jewish-groups-react-israel-divestment-a9242666.html?fbclid=IwAR33kdgmKHMWqPANwNSGTPgXHPCL4hyPw\\_2bEmkPxOPlalflbNvQgLgu-bY](https://www.independent.co.uk/news/world/americas/us-politics/trump-judaism-nationality-jewish-groups-react-israel-divestment-a9242666.html?fbclid=IwAR33kdgmKHMWqPANwNSGTPgXHPCL4hyPw_2bEmkPxOPlalflbNvQgLgu-bY)
- Moravcsik, A. (1997) "Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of International Politics," International Organization 51:4 (Autumn 1997): 513-553
- Morgenthau, H. (1978) Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace, 5th ed., rev. New York: Knopf

- Palestinelegal (2020) "Trump's Education Department Targets UCLA with Investigation into Palestine Activity," Palestinelegal: [https://palestinelegal.org/news/2020/1/10/trumps-education-department-targets-ucla-with-investigation-into-palestine-advocacy?fbclid=IwAR0msxu3dms1Nnvhhn-N\\_DLWh6xP6SvUpez4g8NOY6qpWwKm\\_pu2rbq3224](https://palestinelegal.org/news/2020/1/10/trumps-education-department-targets-ucla-with-investigation-into-palestine-advocacy?fbclid=IwAR0msxu3dms1Nnvhhn-N_DLWh6xP6SvUpez4g8NOY6qpWwKm_pu2rbq3224)
- Parini, J. (2019) "Christianity Today Anti-Trump Editorial is a Sign of Things to Come," CNN: <https://edition.cnn.com/2019/12/20/opinions/christianity-today-editorial-opinion-parini/index.html>
- Pompeo, M. (2019) Interview, CBN News: <https://www1.cbn.com/cbnnews/politics/2019/april/my-belief-in-jesus-christ-makes-a-real-difference-mike-pompeo-says-his-christian-faith-puts-everything-in-perspective>
- Trump, D. (2019) "Trump Defended The Charlottesville White Supremacists- Again," by: Otilia Steadman, BuzzFeed News: <https://www.buzzfeednews.com/article/otilliasteadman/trump-charlottesville-defend-white-supremacists>
- Waltz, K. (1995) "Realist Thought and Neorealist Theory," in Controversies in International Relations Theory: Realism and the Neo-Liberal Challenge, ed. Charles W. Kegley Jr. (New York: St. Martin's) pp. 67-82
- Weiss, A (2019) "I am a Rabbi, and I am Done with Trump Using my People to Cover for his Racism," Newsweek: [https://www.newsweek.com/rabbi-trump-anti-semitism-1450667?fbclid=IwAR0B5FRgQzZAUBwXLXLbI\\_suZ5mWjfuoxep9kDvh7erLW24JQacRSiUc-KU](https://www.newsweek.com/rabbi-trump-anti-semitism-1450667?fbclid=IwAR0B5FRgQzZAUBwXLXLbI_suZ5mWjfuoxep9kDvh7erLW24JQacRSiUc-KU)
- Weiss, P. (2017) Charlottesville is moment of truth for empowered U.S. Zionists, Mondoweiss: <https://mondoweiss.net/2017/08/charlottesville-empowered-children/>

## **Trump Administration's Policies towards the Palestinian-Israeli Conflict: The Culmination of Christian-Zionist alliance Impact**

*Hasan Ayoub \**

### **ABSTRACT**

This study addresses the exceptional influence exerted by groups and individuals who identify with right-wing, Zionist, and Evangelical fundamentalist organizations on Donald Trump's foreign policy decisions. The analyses presented stems for understanding America's foreign policy in the current moment from the prospective of domestic actors. Other studies' treatment of the impact of Zionist organizations on the subject matter withstanding, we focus on the raising unique coalition between a group of influential individuals and groups that shapes Trump's policies on the Palestinian cause and the Palestinian-Israeli conflict. The study highlights the dual strategy of this coalition to confer legitimacy over Zionist and Christian biblical claims to the land of Palestine, coupled with a series of domestic tactics that aim to shut political opposition down.

**Keywords:** Zionists; Evangelicals; anti-Antisemitism; Jewishness.

---

\* Al-Najah National University.

Received on 3/3/2020 and Accepted for Publication on 22/12/2020.